

الْقِرَاءَةُ الشَّيْخَةُ

لِتَعْلِيمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْمَدَارِسِ إِسْلَامِيَّةٍ

الجزء الثاني

تأليف

أبو الحسن علي أحسن الندوي

مَجْلِسُ نَشْرِ بَايَاتِ سَلَامٍ

۱۔ کے۔ ۳۔ ناظم آباد مینشن۔ ناظم آباد۔ کراچی ۷۴۶۰۰

الْقِرَاءَةُ الشَّيْخَةُ

تَعْلِيمُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْمَدَارِسِ لِاسْلَامِيَّةِ

(الجزء الثاني)

تأليف

أَبُو الْحَسَنِ عَلِيِّ الْحُسَيْنِيِّ النَّدَوِيِّ

مَجْلِسُ نَشْرِ كِتَابَاتِ سَلَامَةِ

۱۔ کے۔ ۳۔ ناظم آباد منیشن، ناظم آباد عدو، کراچی ۱۸

جميع الحقوق محفوظة
 جملہ حقوق طباعت و اشاعت پاکستان میں
 بحق فضل ربی ندوی محفوظ ہیں۔
 لہذا کوئی فرد یا ادارہ ان کتب کو شائع نہ کرے
 ورنہ اس کے خلاف قانونی کارروائی کی جائے گی۔

| | |
|----------|-----------------------------|
| نام کتاب | القرۃ الرشدة (الجزء الثانی) |
| تالیف | ابوالحسن علی الحسنی الندوی |
| طباعت | مرکز پرنٹنگ پریس کراچی |
| صفحات | ۱۰۲ صفحات |
| فون نمبر | 6601817 |

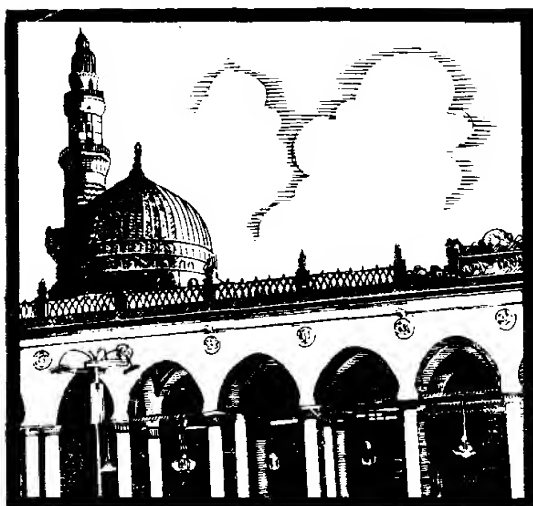
ایساکٹ : مکتبہ ندوۃ قائم سینئر اردو بازار کراچی

ناشر
 فضلہ ربیہ ندوی

مجلس نشریات اسلام ۱۔ ۲۔ ۳۔ ناظم آباد مینشن۔ ناظم آباد کراچی

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شَهَامَةُ الْيَتِيمِ ①



تَرَوْنَ أَمَامَكُمْ صُورَةَ مَسْجِدٍ ، هَذَا مَسْجِدُ النَّبِيِّ
ﷺ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ ، هَلْ تَعْرِفُونَ مِنْ خَبَرِ هَذَا
الْمَسْجِدِ شَيْئًا؟ إِنَّ لَهُ تَارِيخًا يَغْتَبِطُ بِهِ كُلُّ طِفْلِ مُسْلِمٍ .
لَمَّا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ إِلَى اللَّهِ فِي مَكَّةَ ،
وَنَادَى فِي النَّاسِ « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ »
غَضِبَتْ قُرَيْشٌ وَكَانَتْ تَعْبُدُ الْأَصْنَامَ ، وَكَانَتْ فِي الْكَعْبَةِ

الَّتِي بَنَاهَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلُ ۖ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ،
لِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ: كَانَ فِي تِلْكَ الْكَعْبَةِ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَسِتُّونَ
صَنَامًا، فَاشْتَعَلَتْ قُرَيْشٌ غَضَبًا وَأَذَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ
وَعَذَّبُوا الْمُسْلِمِينَ، فَصَبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَبَرَ الْمُسْلِمُونَ
وَتَبَتُوا لَهُمْ كَالْجِبَالِ .

وَالَكِنَّ قُرَيْشًا كَانُوا يَمْنَعُونَ النَّاسَ عَنِ الْإِسْلَامِ
وَيَحُولُونَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَعِبَادَةِ اللَّهِ ، فَأَذِنَ اللَّهُ لِرَسُولِ
اللَّهِ ﷺ بِالْهِجْرَةِ ، فَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهَاجَرَ الْمُسْلِمُونَ ،
وَكَانَتِ الْمَدِينَةُ أَرْضًا طَيِّبَةً لِلْإِسْلَامِ ، فِي أَهْلِهَا لِينٌ
وَرِيقَةٌ ، قَدْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ قَبْلَ الْهِجْرَةِ .

وَلَمَّا انْتَقَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَسَكَنَ
هُنَالِكَ أَحَبَّ أَنْ يَبْنِيَ مَسْجِدًا ، لِأَنَّ الْمَسْجِدَ لَا زِمَ
لِلْمُسْلِمِينَ ، وَهُوَ قُطْبٌ يَتَوَرَّ حَوْلَهُ رَحَى الْحَيَاةِ
الْإِسْلَامِيَّةِ .

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ نَازِلًا فِي بَيْتِ أَبِي أَيُّوبَ
الْأَنْصَارِيِّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) وَكَانَ ضَيْفًا عَلَيْهِ ، وَكَانَ
قَرِيبًا مِّنْ بَيْتِهِ مُزِيدٌ ، فَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَبْنِيَ

الْمَسْجِدَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لِمَنْ هَذَا
الْمَرْبَدُ ؟

قَالَ رَجُلٌ مِّنَ الْأَنْصَارِ اسْمُهُ مَعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ : هُوَ
يَا رَسُولَ اللَّهِ ! لِيَتِيمَيْنِ ، اسْمُ أَحَدِهِمَا سَهْلٌ وَاسْمُ الثَّانِي
سَهِيلٌ .

طَلَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَهْلًا وَ سَهِيلًا ، وَهُمَا وَلَدَانِ
يَتِيمَانِ ، فَلَمَّا حَضَرَا ، كَلَّمَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَمْرِ الْمَرْبَدِ
وَ ثَمَنِهِ .

قَالَ سَهْلٌ وَ سَهِيلٌ : هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! لَا نَشْتَرِي
بِهِ ثَمَنًا ، فَأَبَى الْمَسْجِدَ ، وَقَدْ طَابَتْ بِهِ أَنْفُسُنَا ، وَلَكِنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَبَى وَاشْتَرَى مِنْهُمَا الْمَكَانَ ، وَدَفَعَ الثَّمَنَ .
وَ بَنَى الْمُسْلِمُونَ الْمَسْجِدَ ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْمَلُ
بِيَدِهِ وَ يَنْقُلُ اللَّيْنُ ، فَقَالَ قَائِلٌ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ :

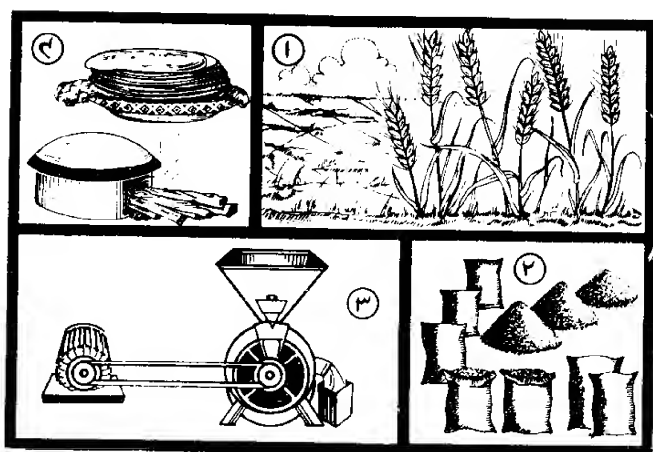
لَئِنْ قَعَدْنَا وَ النَّبِيُّ يَعْمَلُ
لَذَاكَ مِنَّا الْعَمَلُ الْمُضِلُّ

وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَبْنُونَهُ وَيَقُولُونَ :

اَللّٰهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ فَارْحِمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ

وَقَدْ زَادَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَانُ بْنُ
عَفَّانَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) وَالْمَلُوكُ بَعْدَهُ، حَتَّى تَرَوْهُ فِي هَذَا
الشَّكْلِ .

② كِسْرَةٌ مِّنَ الْخُبْزِ



مَرَّةً أَخَذْتُ كِسْرَةً مِّنَ الْخُبْزِ لَا كُلُّهَا فَقَالَتْ مَهْلًا
يَا سَيِّدِي ! إِنَّكَ غَيْرُ جَائِعٍ ، وَ قَدْ أَكَلْتَ أَخَوَاتِي ، أَفَلَا
تُحِبُّ أَنْ أَقْصَّ عَلَيْكَ قِصَّتِي ، فَإِنَّهَا غَرِيبَةٌ وَإِنَّهَا لَذَنَّةٌ
قُلْتُ . بَلَى ! أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَ قِصَّتِكَ ، فَلَا آكُلُكَ حَتَّى

أَسْمَعَ مِنْكَ .

قَالَتْ : هَلْ تَظُنُّ يَا سَيِّدِي ، أَنِّي خُلِقْتُ هَكَذَا ؟ هَلْ
سَمِعْتَ أَنَّ الْخُبْزَ يَنْبُتُ فِي الْحَقْلِ أَوْ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ؟
إِنَّكَ تَأْكُلُ مُسْتَرْحَا تَأْتِيكَ رِزْقُكَ رَغَدًا ، وَلَكِنِّي لَمْ أَزَلْ
أَتَحَمَّلُ الْمَشَاقَّ لِأَجْلِكَ ، وَأَخْرُجُ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَى مُصِيبَةٍ
وَمِنْ مَحْجَسٍ إِلَى مَحْجَسٍ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى يَدِكَ .

كَانَ مِنْ خَبْرِي أَنِّي كُنْتُ حَبَّةَ حِنْطَةٍ مَعَ شَقِيقَاتِي
فِي غَرَارَةٍ ، فَجَاءَ إِلَيْنَا رَجُلٌ ، فَأَخَذَنِي مَعَ رَفِيقَاتِي ، فَبَدَرْنَا
فِي التُّرَابِ .

هُنَالِكَ فِي الْحَقْلِ أَبْصَرْتُ الدُّنْيَا وَأَصَابَتْنِي الشَّمْسُ ،
وَكُنْتُ مَسْرُورَةً جِدًّا ، وَالْكَنْ نَزَلَ الْمَطَرُ ، وَدَخَلْتُ
إِلَى بَاطِنِ التُّرْبَةِ ، وَبَقِيتُ مَدْفُونَةً أَيَّامًا ، وَأَخَذَ جِسْمِي
يَكْبُرُ وَجِلْدِي يَضِيقُ عَلَيَّ ، حَتَّى انشَقَّ جِلْدِي ، وَخَرَجَ
مِنْهُ جُذِيرَاتٌ كَالشَّعْرِ ، ثُمَّ خَرَجَتْ وَرِيقَاتُ شَقَّتِ التُّرْبَةَ ،
وَظَهَرَتْ فَوْقَ الْأَرْضِ ، فَكُنْتُ يَا سَيِّدِي سُنْبُلَةً قَائِمَةً
عَلَى سَاقٍ .

ثُمَّ أَصْبَحْتُ سُنْبُلَةً صَفْرَاءَ فِي حَرَارَةِ الشَّمْسِ ،

وَ كُنْتُ أَرَى صَدِيقَانِي وَ كُنَّا تَحَدَّثُ وَ نَهْزُ طَرِبًا
وَ كَانَتْ أَيَّامًا جَمِيلَةً .

وَ مَا طَالَتْ تِلْكَ الْمُدَّةُ فَقَدْ جَاءَ رِجَالٌ يَحْمِلُونَ
الْمَنَاجِلَ ، فِصَّدُوا وَ حَمَلُوا ، وَ انْتَقَلْتُ إِلَى بَيْدْرِ ،
وَ مَكَّمْتُ أَيَّامًا .

وَ كَانَ مِنْ أَشَدِّ الْأَيَّامِ فَقَدْ جَاءَ يُرَانُ فَاسْتَسَا
بِأَقْدَامِهَا ، وَ فَارَقْتُ السُّبُلَةَ ، وَ كُنْتُ طَرِيقًا ذَلِيلًا .
ثُمَّ أَخَذْنَا رِجَالٌ وَ ذَرَوْنَا فِي الرِّيحِ ، فَطَارَ الْقَشْرُ
وَ بَقِيَ الْقَمْحُ .

وَ كَانَ أَشَدَّ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ : أَنَّ رَجُلًا حَمَلَنِي إِلَى
شَيْءٍ مُدَوَّرٍ مِنَ الْحَجَرِ ، فِيهِ ثَقْبٌ ، وَ كُنْتُ أَسْمَعُ لَهُ
صَوْتًا شَدِيدًا كَرِيحًا وَ جَعَجَعَةً ، فَأَلْقَانِي فِيهِ فَطَحَنَنِي
طَحْنًا ، هَلْ تَعْرِفُ اسْمَهُ يَا سَيِّدِي ؟ . . ذَلِكَ هُوَ
الطَّاحُونُ أَوْ الرَّحَى .

فَلَمَّا صِرْتُ دَقِيقًا أَخَذَنِي الْحَبَّازُ وَ وَضَعَنِي فِي
مِعْجَنَةٍ ، وَ غَمَرَنِي بِالْمَاءِ النَّقِيِّ ، وَ غَمَرَنِي ، حَتَّى صِرْتُ
مِجْنِيًا ، فَصَنَعَ مِنِّي كُرَةً .
هَذَاكَ جَاءَتِ الْمَصِيبَةُ ، فَقَدْ دَحَانِي عَلَى حَدِيدٍ

مَحْمَى تَسْمُونَهُ الطَّاقِ ، لَا تَسْأَلُ يَا سَيِّدِي عَنْ أَلِيٍّ
 وَاحْتِرَاقِي فَقَدْ انْوَيْتُ وَانْكَشْتُ ، وَالْكَرْبَ الْحَبَازَ
 لَمْ يَرْحَمْنِي وَ لَمْ يَرْقُ لِي ، حَتَّى كُنْتُ رِقَاقًا .
 كُلُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِكَ يَا سَيِّدِي ، كُنْتُ أَشْقَى لِنَعِيمِكَ
 وَأَتَعَبُ لِلذِّتِّكَ ، وَأَتَقَلُّ مِنْ طَوْرِ إِلَى طَوْرٍ ، لَتَأْكُلَ
 هِنِيئًا وَ تَشْبَعُ ، أَفَلَا يَحْسُنُ بِكَ أَنْ تَقُولَ :
 « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي وَ سَقَانِي وَ جَعَلَنِي مِنَ
 الْمُسْلِمِينَ » .

(٣) عِبَادَةُ الْهَرِيضِ

ذَهَبَ حَامِدٌ إِلَى الْمَدْرَسَةِ يَوْمَ السَّبْتِ فَوَجَدَ أَنَّ
 صَدِيقَهُ حُسَيْنًا مَا حَضَرَ فِي الْمَدْرَسَةِ ، فَسَأَلَ أَخَاهُ عَلِيًّا
 عَنِ السَّبَبِ ، فَقَالَ : إِنَّهُ مَحْمُومٌ مِّنْ يَوْمِ الْخَمِيسِ ، فَعَزَمَ حَامِدٌ
 عَلَى أَنْ يَتَوَدَّهِ فِي الرَّجُوعِ مِنَ الْمَدْرَسَةِ .
 ذَهَبَ حَامِدٌ إِلَى بَيْتِ حُسَيْنٍ فَسَلَّمَ وَاسْتَأْذَنَ ، فَخَرَجَ
 أَبُو حُسَيْنٍ ، قَالَ حَامِدٌ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعُودَ صَدِيقِي
 حُسَيْنًا فَقَدْ أَخْبَرَنِي عَلَى أَنَّهُ مَرِيضٌ ، قَالَ أَبُوهُ : نَعَمْ !

إِنَّهُ أَصَابَتْهُ الْحُمَّى يَوْمَ الْحِنْسِ ، وَ يُمَكِّنُكَ أَنْ تَعُودَهُ .
 صَعِدَ حَامِدٌ إِلَى السَّطْحِ ، وَدَخَلَ غُرْفَةَ حُسَيْنٍ ،
 فَرَأَى حُسَيْنًا مُضْطَجِعًا ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِلُطْفٍ وَدَنَا مِنْهُ ،
 وَ قَالَ لَهُ : كَيْفَ حَالُكَ يَا أَخِي ! عَافَاكَ اللَّهُ .

قَالَ حُسَيْنٌ : قَدْ أَصَابَتْنِي الْحُمَّى يَوْمَ الْحِنْسِ ، وَكَانَتْ
 شَدِيدَةً يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَخَفَّتْ فِي اللَّيْلِ ، وَ الْكِئِ أَشْكُو
 الصَّدَاعَ وَ الدُّوَارَ ، وَ قَدْ ضَعُفْتُ كَثِيرًا ، كَأَنِّي
 مَرِيضٌ مُنْذُ أَيَّامٍ ، وَ لَا أَشْتَهِي الطَّعَامَ .

قَالَ حَامِدٌ : لَا بَأْسَ طَهَّرُوا إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَهَلْ
 عَادَكَ طَيْبٌ ؟

قَالَ حُسَيْنٌ : نَعَمْ ، قَدْ عَادَنِي طَيْبٌ أَمْسٍ ، وَ مَوْعِدُهُ
 الْآنَ

وَ لَمْ يَجْلِسْ حَامِدٌ إِلَّا قَلِيلًا ، حَتَّى حَضَرَ
 الطَّيِّبُ فَنَسَّ يَدَ حُسَيْنٍ ، وَ قَاسَ الْحَرَارَةَ ، وَ انْتَحَنَ
 الصَّدْرَ بِالمِسْمَعَةِ ، وَأَبْدَى الْإِرْتِيَاحَ ، وَغَيْرَ فِي الوُصْفَةِ
 قَلِيلًا ، وَ قَالَ : إِنَّهُ بَارِئٌ بِحَمْدِ اللَّهِ ، وَ أَوْصَى أَبَاهُ
 بِأَنْ يَتَخَمَّى حُسَيْنًا الْمَاءَ الْبَارِدَ وَ الزَّيْتَ وَ الخُرْجُوجَ فِي

الْهَوَاءَ وَالتَّعَبَ ، وَ يَسْقِيهِ اللَّبَنَ وَ مَاءَ الشَّعِيرِ وَ مَاءَ
الْفَوَاكِهِ .

وَ جَلَسَ حَامِدٌ قَلِيلًا ، وَ قَالَ : إِنَّ الْعَائِدَ إِذَا
طَالَ الْجُلُوسَ عِنْدَ الْمَرِيضِ ، شَقَّ عَلَيْهِ وَ عَلَى أَهْلِ
بَيْتِهِ ، فَاسْتَأْذِنُ وَأَنْصَرِفُ ، وَأَعُوذُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ غَدًا .

④ الْكِيمِيَاءُ

كَانَ الْأَوْلَادُ يَتَحَدَّثُونَ فِي اللَّيْلِ وَ يَتَسَامَرُونَ ،
وَ كَانَ أَكْثَرُ حَدِيثِهِمْ عَنِ الْكِيمِيَاءِ ، وَ كَانَ إِسْمَاعِيلُ
يَقُولُ : سَمِعْتُ أَنَّ شَيْخًا يَحْوِلُ التُّرَابَ ذَهَبًا ، وَ يَجْعَلُ
نَقُودَ التَّنَكْلِ وَ الرِّصَاصِ : ذَنَائِرَ ذَهَبِيَّةٍ وَ جُنَيْهَاتٍ .
وَ صَدَقَهُ مُحَمَّدٌ ، وَ قَالَ : نَعَمْ إِنَّهُ فَنٌّ ، كَانَ
النَّاسُ يَعْرِفُونَهُ ، وَ لَكِنْ انْفَرَضَ عُلَمَاءُ هَذَا الْفَنِّ
وَ طَوَى ذَلِكَ الْبَسَاطُ .

فَنَاسَفَ الْأَوْلَادُ كَثِيرًا ، وَ حَزَنُوا ، وَ قَالُوا :
لَوْ وَجَدْنَا أَحَدًا يَعْرِفُ هَذِهِ الصَّنَاعَةَ ، لَتَعَلَّمْنَاهَا مِنْهُ ،
وَ صِرْنَا أَغْنِيَاءَ بِدُونِ تَعَبٍ وَ مَشَقَّةٍ .

وَ كَانَ أَبُوهُ يَمْسَعُ مِنْهُمْ ، فَقَالَ : لَا تَتَأَسَّفُوا
يَا أَوْلَادِي ! فَإِنِّي أَعْرِفُ الْكِيمِيَاءَ ، وَ أَنْتُمْ أَعَزُّ النَّاسِ
عِنْدِي ، فَأَنَا أُعَلِّمُكُمْ غَدًا ، وَأُخْبِرُكُمْ بِصِنَاعَةِ الْكِيمِيَاءِ .

فَرِحَ الْأَوْلَادُ كَثِيرًا ، وَ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ،
وَ شَقَّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَنْتَظِرُوا إِلَى الصَّبَاحِ ، فَاسْتَطَالُوا
الَّيْلَ ، وَ الْكَتَّ وَ الدَّهْمُ قَالَ لَهُمْ : هَلَا يُمْكِنُ تَعْلِيمُ
الْكِيمِيَاءِ إِلَّا فِي النَّهَارِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ دَقِيقٍ .

نَامَ الْأَوْلَادُ وَ انْتَبَهَوْا مُبَكَّرِينَ ، وَ لَمْ يَزَلْ
إِسْمَاعِيلُ وَ مُحَمَّدُ يَرَيَانِ الْكِيمِيَاءَ فِي الْمَنَامِ ، رَأَى
هَاشِمٌ أَنَّهُ فِي قَصْرِ شَامِخٍ ، وَ لِبَاسٍ فَاحِرٍ ، وَ قَدْ بَنَى
الْقَصْرَ ، وَ صَنَعَ اللَّبَاسَ بِالْمَالِ الَّذِي حَصَلَ لَهُ بِالْكِيمِيَاءِ .
فَصَلَّوْا الصُّبْحَ ، وَ جَلَسُوا حَوْلَ أَبِيهِمْ يَنْتَظِرُونَ
فِرَاقَهُ مِنْ بَلَاوَةِ الْقُرْآنِ ، وَ أَتَمَّ أَبُوهُمْ حِزْبَهُ ، وَ قَالَ :
هَلُّوْا يَا أَبْنَائِي ! فَخَرَجُوا مَعَهُ ، وَ قَدْ أَعْجَلَهُمُ الْإِشْتِيَاقُ
إِلَى الْكِيمِيَاءِ مِنْ أَنْ يُفْطِرُوا .

لَمْ يَزَلْ أَبُوهُمْ يَسِيرُ بِهِمْ طَرِيقًا بَعْدَ طَرِيقٍ ، حَتَّى
وَقَفَ بِهِمْ عَلَى حَقْلٍ يَحْرُثُهُ الْفَلَّاحُ ، وَ فِي يَدِهِ الشَّكَّةُ

فَقَالَ الْوَالِدُ: الْكَيْمِيَاءُ يَا أَوْلَادِي! تَحْتَ سِكَّةِ الْحَرَاثِ.
 فَتَجَبَّ الْأَوْلَادُ، فَاسْتَفْسَرُوا أَبَاهُمْ، فَقَالَ
 الْوَالِدُ: أَلَمْ أَسْمَعْكُمْ تَقُولُونَ: الْكَيْمِيَاءُ يُحَوِّلُ التُّرَابَ
 ذَهَبًا؟ أَلَا يَتَحَوَّلُ هَذَا التُّرَابُ ذَهَبًا بَعْدَ أَيَّامٍ بَلْ
 أَغْلَى مِنَ الذَّهَبِ؟ وَمَا يُغْنِي الذَّهَبُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا يَأْكُلُهُ
 النَّاسُ؟ فَبِهِذِهِ الْبَذُورُ الَّتِي بَذَرَهَا الْفَلَّاحُ، وَاجْتَهَدَ
 فِيهَا أَيَّامًا سَنَاتٍ بِحَاصِلِ كَثِيرٍ، وَسَيَرَدُ اللَّهُ إِلَيْهِ بِهَذَا
 الْعَمَلِ أَضْعَافَ مَا بَذَلَ.

ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ أَبُوهُمْ عَلَى مَصْنَعٍ كَانَ النَّاسُ فِيهِ
 عَاكِفِينَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَالْعَرَقُ يَسِيلُ مِنْ جَبَاهِهِمْ،
 وَصَنَعُوا أَشْيَاءَ مُفِيدَةً جَدًّا تُشْمِرُهُمْ مَالًا كَثِيرًا، وَتَقْضِي
 لِلنَّاسِ حَاجَاتٍ كَثِيرَةً، فَقَالَ الْوَالِدُ: الْكَيْمِيَاءُ
 يَا أَوْلَادِي! عَرَقُ الْجَبِينِ، وَكَدُّ الْيَمِينِ، ثُمَّ مَالَ بِهِمْ
 إِلَى حَلْقَةِ مُعَلِّمٍ، وَ إِلَى مَجْلِسٍ وَاعِظٍ، وَ قَالَ:
 يَا أَوْلَادِي! الْإِنْسَانُ أَغْلَى شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ، وَ تَقْيِفُهُ
 وَ إِصْلَاحُهُ أَفْضَلُ مِنْ تَحْوِيلِ التُّرَابِ ذَهَبًا.
 فَإِذَا تَعَلَّمَ هَؤُلَاءِ الْأَوْلَادُ، وَ إِذَا اهْتَدَى هَؤُلَاءِ

النَّاسُ ، كَانَ لِلْمُعَلِّمِ وَالْوَاعِظِ صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ ، لَهُ أَجْرُ كُلِّ مَا يَعْمَلُ هَؤُلَاءِ مِنْ خَيْرٍ وَبِرٍّ ، وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِسَيِّدِنَا عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ :

« يَا عَلِيُّ ! لَأَنَّ يَهْدِي اللَّهُ بِكَ رَجُلًا يَرِيكَ مِنْ حُرِّ النِّعَمِ » .
فَاقْتَنَحَ الْأَوْلَادُ ، وَ شَكَرُوا آبَاهُمْ ، وَ رَجَعُوا ،
وَ قَدْ تَعَلَّمُوا الْكِيمِيَاءَ .

⑤ يَوْمُ صَائِفٍ

مَا أَشَدَّ الْحَرَّ! يَا لَطِيفُ ! النَّاسُ فِي بُيُوتِهِمْ لَا يَخْرُجُونَ خَوْفَ السَّمُومِ ، وَ قَدْ اتَّخَذُوا سُتُورًا مِّنَ الْحَشِيشِ يَرْشُونَ عَلَيْهَا الْمَاءَ ، وَ مُحَرَّكُونَ الْمُرَاوِخَ ، وَ قَدْ سَلُّوا التَّوَافِذَ ، لِئَلَّا تَدْخُلَ مِنْهَا السَّمُومُ ، وَمَعَ ذَلِكَ يَقْبَلُونَ عَلَى مِثْلِ الْجُرِّ ، هَذَا ، وَ أَهْلُ الْأَكْوَاجِ الْحَقِيرَةِ وَ الْحَصَصِ وَالْبُيُوتِ الْمُتَنِيَّةِ مِنَ اللَّيْلِ أَنْعَمَ فِي الصَّيْفِ مِنْ أَهْلِ الْقُصُورِ الْمُتَنِيَّةِ مِنَ الْجِصِّ وَ الْأَجْرِ ، فَإِذَا رَشُوا الْمَاءَ عَلَى الْأَرْضِ وَ الْجُدْرَانِ ، وَ هَبَّتْ لَفْحَةٌ مِّنْ سَمُومٍ تَحَوَّلَتْ نَفْحَةٌ مِّنْ نَّسِيمٍ ، وَ حَسِبُوا أَنَّهُمْ فِي

جَنَّةٍ وَ نَعِيمٍ .

إِزْتَفَعَتْ دَرَجَةُ الْحَرَارَةِ إِلَى مِائَةٍ وَ ثَمَانِي عَشْرَةَ
نَقْطَةً ، فَعَمِلَ صَبْرُ النَّاسِ ، وَ سَافَرَ الْأَغْنِيَاءُ إِلَى قُلُلِ
الْجِبَالِ حَيْثُ يَصْطَافُونَ وَ يَقْضُونَ شَهْرِي مَائُو وَ
يُونَيْسَهُ حَتَّى إِذَا نَزَلَتِ الْأَمْطَارُ ، وَ لَطَفَ الْحَرُّ هَبَطُوا
إِلَى الْمَدِينِ وَ السُّهُولِ .

وَ بَقِيَ أَوْسَاطُ النَّاسِ ، وَ أَهْلُ الْأَشْغَالِ يَتَحَمَّلُونَ
الْحَرَّ ، وَ يَصْبِرُونَ لِلْسَّمُومِ .

الآن رَكَدَتِ السَّمُومُ ، وَ مَالَتِ الشَّمْسُ ،
وَ طَابَ الْخُرُوجُ ، وَ انْتَشَرَ النَّاسُ فِي الْبَسَاتِينِ
وَ الْمِيَادِينِ وَ شَوَاطِئِ الْأَنْهَارِ يَتَرَوَّحُونَ وَ يَتَزَهَّوْنَ ،
فَلَا تَجِدُ فِي الْبَيْتِ إِلَّا شَيْخًا هَرِمًا أَوْ امْرَأَةً أَوْ
عَاجِزًا ، وَ مَنْ حَبَسَهُ شُغْلٌ أَوْ مَرَضٌ أَوْ حَاجَةٌ ،
وَ قَدْ تَسْتَمِرُّ السَّمُومُ إِلَى اللَّيْلِ ، فَلَا يَسْتَرِيحُ النَّاسُ
وَ يَتَقَلَّبُونَ عَلَى الْفَرَاشِ ، وَ قَدْ يَحْتَبِسُ الْهَوَاءُ ، فَيَسِيلُ
الْعَرَقُ ، وَ تَتَحَرَّكُ الْمَرَاوِحُ ، وَ يَطِيرُ النَّوْمُ .



⑥ النَّظَافَةُ

طَاهِرُ ابْنِ فَلَاحٍ ، يَسْكُنُ أَبُوهُ فِي الْقَرْيَةِ ،
وَيُرْسِلُ إِلَى طَاهِرٍ قَلِيلًا مِّنَ التَّقْوَدِ كُلِّ شَهْرٍ .
وَلَكِنَّ طَاهِرًا وَلَدٌ مُّدَبِّرٌ عَاقِلٌ ، ثِيَابُهُ مُتَوَاضِعَةٌ ،
وَالكِتَابُ دَائِمًا نَظِيفَةٌ مُّرْتَبَةٌ لَا تَرَى فِيهَا وَسخًا ، يَغْسِلُهَا
بِيَدِهِ كُلِّ جُمُعَةٍ ، وَعِنْدَهُ إِبرَةٌ وَخِيطٌ ، فَإِذَا تَخَرَّقَ ثَوْبٌ
خَاطَهُ بِالْإِبْرَةِ أَوْ رَقَعَهُ بِنَفْسِهِ .

وَلَا يَخْجَلُ إِذَا خَرَجَ فِي ثَوْبٍ مَّرْقُوعٍ ، وَلَكِنَّهُ
يَخْجَلُ إِذَا خَرَجَ فِي ثَوْبٍ وَسِخٍ ، وَ مَا رَأَاهُ أَصْدِقَاؤُهُ
فِي ثِيَابٍ وَسِخَةٍ أَبَدًا ، فَيَحْسِبُونَ أَنَّهُ غَيٌّ ، عِنْدَهُ ثِيَابٌ
كَثِيرَةٌ ، وَ لَا يَمْلِكُ إِلَّا أَرْبَعٌ بِذَلَالٍ .

وَ إِذَا دَخَلَتْ فِي حُجْرَتِهِ رَأَيْتَهَا نَظِيفَةً مُنْتَظِمَةً ،
وَ رَأَيْتَ كُلَّ شَيْءٍ فِي مَحَلِّهِ ، فَلَا يَضِيعُ وَقْتُهُ فِي تَفَقُّدِ
الْأَشْيَاءِ وَ التَّمَاسِكِ ، وَإِذَا دَخَلَ فِي الظَّلَامِ قَدَرَ عَلَى أَنْ
يَأْخُذَ مَا يُرِيدُهُ لِأَنَّهُ فِي مَحَلِّهِ .

وَ كُتِبَ فِي نِظَامٍ دَائِمًا ، وَ هِيَ نَظِيفَةٌ لَا تَرَى
عَلَيْهَا غُبَارًا وَ لَا تُرَابًا ، وَ لَا تَرَى فِيهَا أَثَرَ دُهْنٍ

وَبِسْحَةِ يَدٍ ، وَلَا كِتَابَةً وَتَمْرِينًا ، كَأَنَّهُ اشْتَرَاهَا الْيَوْمَ ،
وَلَا يَكْتُبُ اسْمَهُ إِلَّا فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ بِخَطِّ جَيِّدٍ .
وَإِذَا قَامَ طَاهِرٌ فِي الصَّبَاحِ تَوَضَّأَ لِصَلَاةِ الصُّبْحِ
وَاسْتَاكَ ، وَنَظَّفَ أَسْنَانَهُ .

وَيَغْتَسِلُ طَاهِرٌ كُلَّ يَوْمٍ فِي الصَّيْفِ ، وَ أَكْثَرَ
مِنْ مَرَّةٍ فِي أَسْبُوعٍ فِي الشِّتَاءِ ، لِذَلِكَ تَرَاهُ يَمْرُضُ قَلِيلًا ،
وَهُوَ قَوِيٌّ نَشِيطٌ .

وَ فِي فَضْلِ طَاهِرٍ وَلَدٌ غَنِيٌّ اسْمُهُ شَاهِدٌ ، وَ هُوَ
صَدُّ طَاهِرٍ فِي النَّظَافَةِ وَ النَّظَامِ ، فِتْيَانُهُ غَالِيَةٌ جَمِيلَةٌ
وَ الْكِتَابُ فِي الْغَالِبِ وَبِسْحَةُ دَنَسَةٍ ، وَ هُوَ يُغَيِّرُ مَلَابِسَهُ
سَرِيعًا ، وَ الْكِتَابُ يُوسِّخُهَا سَرِيعًا

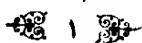
وَ كَذَلِكَ كُتِبَ دَائِمًا جِلْدُهَا مَشْقُوقٌ ، وَ وَرَقُهَا
مُخْرُوقٌ ، كَأَنَّ طِفْلًا عَبَثَ بِهَا أَوْ مَشَتْ عَلَيْهَا سِكَّةُ
الْفَلَاحِ أَوْ دَاسَتْهَا مَرَكَبَةٌ .

وَ كُتِبَ وَ دَفَاتِرُهُ مَعْرِضٌ ، أَوْ مَتَحَفٌ ، تَرَى فِيهَا
رُسُومًا وَ صُورًا ، وَ تَوْقِيعَاتٍ وَ تَمْرِينَاتٍ ، وَ أَشْكَالًا
رِّيَاضِيَّةً وَ خَرَائِطَ جُغْرَافِيَّةً .

وَ إِذَا قُلْتَ لِشَاهِدٍ : لِمَذَا لَا تُحَافِظُ عَلَى النِّظَافَةِ
وَالنِّظَامِ ؟ قَالَ : إِنَّهُ يَضِيعُ فِي ذَلِكَ وَقْتُ كَثِيرٍ ، وَالْوَقْتُ
شَيْءٌ غَالٍ !

وَ تَرَاهُ يُضَيِّعُ وَقْتًا طَوِيلًا فِي تَفَقُّدِ الْأَشْيَاءِ ،
وَ تَغْيِيرِ الْمَلَابِسِ بِسُرْعَةٍ ، وَ لَا يَفْطَنُ لِذَلِكَ .

⑤ أَلْحَنِينَ إِلَى الشَّهَادَةِ



لَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْخُرُوجَ إِلَى بَدْرِ لِبِقَاتِلِ
الْمُشْرِكِينَ وَ خَرَجَ غُلَامٌ اسْمُهُ عُمَيْرُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ
عُمُرُهُ سِتُّ عَشْرَةَ سَنَةً .

وَ كَانَ عُمَيْرٌ يَخَافُ أَنْ لَا يَقْبَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ ، لِأَنَّهُ
صَغِيرٌ ، فَكَانَ يَجْتَمِدُ أَنْ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ ، وَكَانَ يَتَوَارَى .
وَ الْكِنَ رَأَاهُ أَخُوهُ الْأَكْبَرُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ
فَقَالَ لَهُ : مَا لَكَ يَا أَخِي ؟ لِأَنِّي شَيْءٌ تَتَوَارَى ؟
قَالَ عُمَيْرٌ : أَخَافُ أَنْ يَرْتَدَّنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

فَأَنِّي صَغِيرٌ ، وَ أَنَا أَحَبُّ الْخُرُوجِ ، لَعَلَّ اللَّهَ يَرْزُقُنِي
الشَّهَادَةَ .

وَ كَانَ كَمَا خَافَ عُمَيْرٌ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ رَأَى أَنَّهُ صَغِيرٌ ، وَ الْحَزْبُ لَيْسَتْ مِنْ شُغْلِ
الْأَطْفَالِ وَ الْعِلْمَانِ ، وَ مَا يَصْنَعُونَ فِي الْحَزْبِ ، وَ إِنَّمَا
لَكَبِيرَةٌ عَلَى الرِّجَالِ ؟

وَ لَكِنَّ عُمَيْرًا مَّا أَحَبَّ أَنْ يَنْصَرِفَ ، وَ يَقْعُدَ
فِي الْبَيْتِ ، أَوْ يَلْعَبَ مَعَ أَتْرَابِهِ ، وَ أَصْدِقَائِهِ فِي الْمَدِينَةِ ،
وَ إِنَّهُ لَيُرِيدُ الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ !

وَ لَكِنَّ عُمَيْرًا لَا يَعْصِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَلَا
يُعَايِدُ ، فَإِنَّهُ لَا يُرِيدُ إِلَّا رِضَاءَ اللَّهِ ، وَ هَلْ يَنَالُ رِضَاءَ
اللَّهِ إِذَا عَصَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ؟ أَبَدًا !

كَانَ عُمَيْرٌ فِي حَيْرَةٍ وَ حُزْنٍ شَدِيدٍ ، هُوَ لَمْ يَبْلُغْ
سِنَّ الْقِتَالِ ، وَ لَكِنَّهُ يَحْنُ إِلَى الشَّهَادَةِ ، وَ إِلَى الْمَوْتِ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَ يَحْنُ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَ يَرَاهَا غَيْرَ بَعِيدَةٍ ،
وَ لَكِنَّ كَيْفَ يَصِلُ إِلَيْهَا ، وَ هُوَ لَمْ يَبْلُغْ سِنَّ الْقِتَالِ ؟ !

كُلُّ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَى عُمَيْرٍ ، وَ كَانَ قَلْبُهُ صَغِيرًا
فَبَكَى ، وَ لَمَّا بَكَى عُمَيْرٌ رَقَّ لَهُ قَلْبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،
وَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَقِيقًا رَفِيقًا فَأَجَازَهُ .
لَا تَسْأَلُوا عَنْ فَرَجِ عُمَيْرٍ وَ سُرُورِهِ لَمَّا أَجَازَهُ
الَّذِي ﷺ ، فَكَأَنَّمَا نَالَ تَذَكُّرَةَ الْجَنَّةِ .

وَ خَرَجَ عُمَيْرٌ مَعَ أَخِيهِ وَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ ،
وَ كُلُّهُمْ كِبَارٌ وَ أَقْوِيَاءُ ، وَ كَانَ كَمَا أَرَادَ ، فَقَدْ قُتِلَ
شَهِيدًا فِي الْغَزْوَةِ ، وَ سَبَقَ كَثِيرًا مِّنَ الشَّبَّانِ وَ الشُّيُوخِ .
رَضِيَ اللَّهُ عَنْ عُمَيْرٍ وَ أَرْضَاهُ .

⑧ الْحَنِينُ إِلَى الشَّهَادَةِ

وَ لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَحَدٍ لِّقِتَالِ
قُرَيْشٍ خَرَجَ مَعَهُ مِنَ الْمَدِينَةِ غِلْمَانٌ يُحِبُّونَ الْجِهَادَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ ، وَكَانُوا صِغَارًا ، لَمْ يَتَجَاوَزُوا الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ
مِنْ عُمْرِهِمْ ، فَرَدَّهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، لِأَنَّهُمْ صِغَارٌ ،
لَمْ يَبْلُغُوا مِنَ الْقِتَالِ ، فَيَكُونُونَ كَالْمَتَاعِ ، وَ يَشْغُلُونَ

الْكِبَارَ أَيْضاً يُرَافِقُونَهُمْ وَ يَحْرِمُونَهُمْ .
 وَ كَانَ فِي هَؤُلَاءِ الْعِلَّانِ وَلَدٌ، اسْمُهُ رَافِعُ بْنُ
 خَدِيجٍ ، وَ هُوَ دُونَ الْخَامِسَةِ عَشْرَةَ مِنْ سِنِّهِ ، وَ كَانَ
 يَتَطَاوَلُ مِنْ شِدَّةِ الشَّوْقِ ، لِيُظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ كَبِيرٌ، قَدْ
 بَلَغَ سِنَّ الْقِتَالِ ، فَلَا يُفْطِنُ لِصِغَرِ سِنِّهِ وَ ضَعْفِهِ .
 وَ لَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَدَّهُ ، لِأَنَّهُ عَرَفَ أَنَّهُ
 صَغِيرٌ، وَأَنَّهُ يَتَطَاوَلُ ، فَشَفَعَ لَهُ أَبُوهُ ، وَ قَالَ : يَا
 رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ ابْنِي رَافِعًا رَامَ، فَأَذِنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .
 فَفَرِحَ رَافِعٌ كَثِيرًا لَمَّا أَذِنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ،
 وَ خَرَجَ مَعَ الْمُجَاهِدِينَ ، وَ هُوَ أَكْثَرُ سُورًا مِّنْ
 غِلَّانٍ يَخْرُجُونَ إِلَى الْمُصَلَّى يَوْمَ الْعِيدِ فِي لِبَاسٍ جَدِيدٍ .
 وَ كَانَ وَلَدٌ آخَرُ اسْمُهُ سَمْرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ فِي مِثْلِ
 رَافِعٍ ، فَعَرِضَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ رَافِعٍ فَرَدَّهُ
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِصِغَرِهِ أَيْضًا ، فَقَالَ سَمْرَةُ : لَقَدْ
 أَجَزْتَ رَافِعًا وَ رَدَدْتَنِي ، وَ لَوْ صَارَعْتُهُ لَصَرَعْتُهُ .
 فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَمْرَةَ وَ رَافِعًا بِالْمُصَارَعَةِ
 فَصَرَغَ سَمْرَةُ رَافِعًا كَمَا قَالَ ، وَ اسْتَحَقَّ أَنْ يُسَمَّحَ لَهُ

بِالدُّخُولِ فِي صَفِّ الْمَجَاهِدِينَ .
 فَأَجَازَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَمْرَةَ لِلْخُرُوجِ ، فَخَرَجَ سَمْرَةُ ،
 وَ قَاتَلَ يَوْمَ أُحُدٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْ رَافِعٍ وَ سَمْرَةَ ، وَرَزَقَنَا آبَاءَهُمَا .

⑨ كُنْ أَحَدَ السَّبْعَةِ

كَانَ الْيَوْمَ الْخَامِسَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ يُونِيُو يَوْمًا
 شَدِيدَ الْحَرِّ ، وَ كَانَ يَوْمَ عَظْلَةٍ ، فَكَانَ مُحَمَّدٌ وَ أَحْمَدُ
 وَ عُثْمَانُ فِي الْبَيْتِ ، وَكَانُوا مَعَ أَيِّهِمْ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ
 فِي النَّهَارِ ، وَكَانُوا يَتَأَفَّقُونَ مِنَ الْحَرِّ ، وَ يَتَقَلَّبُونَ
 عَلَى الْفِرَاشِ كَأَنَّهُمْ عَلَى الْجَرِّ
 قَالَ مُحَمَّدٌ : يَا لَطِيفُ ! مَا أَشَدَّ الْحَرَّ ! .

قَالَ أَبُوهُمُ سُلَيْمَانُ : أَتَعْرِفُ يَا مُحَمَّدُ ! كَمْ تَبْعُدُ
 الشَّمْسُ مِنَ الْأَرْضِ ؟

مُحَمَّدٌ : لَا يَا أَبِي ، وَ الْكَيْفَى أَعْرِفُ أَنَّهَا بَعِيدَةٌ
 جِدًّا .

سُلَيْمَانُ : سَتَقْرَأُ فِي الْمَدْرَسَةِ أَنَّ الشَّمْسَ تَبْعُدُ مِنْ

الْأَرْضِ أَكْثَرَ مِنْ تِسْعِينَ مِليُونًا مِّنَ الْأَمْيَالِ ، وَالْحَرُّ
كَمَا تَرَى ، فَكَيْفَ إِذَا دَنَتِ الشَّمْسُ حَتَّى تَكُونَ مِقْدَارَ
مِيلٍ ؟ ١

مَحْمُودٌ : اَلْعِيَاذُ بِاللّٰهِ ! وَ مَتَى هَذَا يَا أُنَى ؟
سُلَيْمَانُ : ذَلِكَ يَا بُنَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ
لِرَبِّ الْعَالَمِينَ .

أَحْمَدُ : وَ كَيْفَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَا أَبَتِ ؟ .
سُلَيْمَانُ : يَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ ، فَمِنْهُمْ
مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيهِ ، وَ مِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ،
وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ ، وَ مِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ
الْعَرَقُ الْجَامَا .

عُثْمَانُ : أَوْ لَيْسَ هُنَالِكَ ظِلٌّ أَوْ مَكَانٌ يَسْتَظِلُّ
بِهِ النَّاسُ ؟

سُلَيْمَانُ : بَلَى يَا وَلَدِي ، فَمِنْ أُولَئِكَ ظِلٌّ لَا يَنْعَمُ بِهِ
إِلَّا سَبْعَةٌ مِّنَ الرِّجَالِ .

الْأَوْلَادُ : وَ مَنْ أُولَئِكَ السَّعْدَاءُ يَا أَبَانَا ؟ لَعَلَّنَا
نَجْتَهِدُ أَنْ نَكُونَ مِنْهُمْ .

سَلِمَانُ : يَا أَوْلَادِي ! يَنْبَغِي لِكُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَجْتَهِدَ أَنْ
يَكُونَ أَحَدَ السَّبْعَةِ ، وَ أَنَا أَعَدُّ لَكُمْ أُولَئِكَ السَّبْعَةَ :
(١) إِمَامٌ عَادِلٌ .

وَقَطَعَ عَلَيْهِ أَحَدُ الْأَوْلَادِ ، وَ قَالَ : وَ مَنْ
هُوَ الْإِمَامُ ، أَهَذَا الَّذِي يُصَلِّي بِالنَّاسِ ؟
سَلِمَانُ : هُوَ أَيْضًا عَلَى خَيْرٍ ، لَكِنَّ الْمُرَادَ هُنَا
أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ .

وَ ابْتَدَرَ الْأَوْلَادُ ، وَ قَالُوا : قَدْ فَهِمْنَا هَذَا
كَالْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ ، وَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَ قَدْ سَمِعْنَا
كَثِيرًا مِّنْ حِكَايَاتِهِمْ مِنْ أُمَّنَا .

⑩ كُنْ أَحَدَ السَّبْعَةِ

قَالَ سَلِمَانُ : وَ الثَّانِي يَا أَوْلَادِي ! شَابُّ نَشَأَ فِي
عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى .

هُنَالِكَ وَقَفَ الشَّيْخُ ، وَ قَالَ : يُمَكِّنُ كُلَّ وَاحِدٍ
مِّنْكُمْ يَا أَوْلَادِي ! أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الشَّبَابَ السَّعِيدَ ،

وَالْكِفِّ إِذَا ضَيَّعَتْ فِرْصَةَ الشَّبَابِ ، فَلَيْسَ لَكُمْ إِلَّا
الْحُسْرَةُ وَ النَّدَامَةُ .

(٣) رَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ .

قَالَ الْأَوْلَادُ : هُوَ كَالشَّيْخِ عَبْدِ الْغَنِيِّ فِي حِينَا ،
فَإِنَّهُ لَا يَزْنَاهُ إِلَّا إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَ لَا تَقُوهُ جَمَاعَةٌ ،
وَ لَا نَظَنُّهُ يَبِيتُ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ .

قَالَ سُلَيْمَانُ : لَا يَا أَوْلَادِي ! وَ لَكِنَّهُ مُحَافِظٌ
عَلَى الصَّلَاةِ وَ الْجَمَاعَةِ ، وَ قَدْ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ مَا فَاتَتْهُ
صَلَاةٌ فِي جَمَاعَةٍ مُنْذُ عَشْرِ سَنَوَاتٍ أَوْ أَكْثَرَ .

(٤) رَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ ،

وَ تَفَرَّقَا عَلَيْهِ .

وَ إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَرَوْهُمَا ، فَانْظُرُوا إِلَى الشَّيْخِ
صَالِحٍ وَ الشَّيْخِ حَمْزَةَ ، فَهَذَا مِنَ الْهِنْدِ ، وَ ذَلِكَ مِنَ
بُخَارَا ، وَ هُمَا أَخَوَانِ فِي اللَّهِ .

وَ يُمكنُ كُلُّ وَاحِدٍ مِّنْكُمْ أَنْ يَنَالَ هَذِهِ الْفَضِيلَةَ ،
وَ ذَلِكَ بِأَنْ يَخْتَارَ مِنْ صَفِّهِ وَ رُقَّتِهِ الصَّالِحَ مِنْ
الْأَوْلَادِ فَيُصَادِقَهُ وَ يَجْهَدُ أَنْ تَكُونَ صِدَاقَتُهُ لِلدِّينِ .

(٥) وَ رَجُلٌ اقْتَدَى بِيُوسُفَ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَ
 سَلَامٌ) فِي الْبَقَةِ وَ الْأَمَانَةِ ، وَ قَدْ سَمِعْتُمْ قِصَّتَهُ .
 قَالَ الْأَوْلَادُ : نَعَمْ !

(٦) وَ رَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ
 زِمَالُهُ مَا تَتَّقُ بِمِئْنَةٍ .

وَ ذَلِكَ مِثْلُ جَدِّكُمْ ، فَإِنَّا لَمْ نَعْرِفْ بِرِّهْ وَ إِحْسَانَهُ
 إِلَى الْمَسَاكِينِ وَ الضَّعْفَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا بَعْدَ وَفَاتِهِ ، فَقَدْ
 جَاءَتِ الْعَجَائِزُ وَ الْأَرَامِلُ يَبْكِيْنَهُ ، وَ يَذْكُرْنَ خَيْرَهُ
 وَ بِرِّهْ ، وَ قَدْ أَخْبَرَنِي أَشْرَافُ مَنْ أَهْلِ هَذَا الْحَيِّ أَنَّهُ
 كَانَ يُوَاسِيهِمْ ، وَ يَصِلُهُمْ بِمَعْرُوفٍ كُلِّ شَهْرٍ ، وَ لَمْ نَعْلَمْ
 ذَلِكَ أَهْلُ الْبَيْتِ .

(٧) وَ رَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهُ خَالِيًا فَقَاضَتْ عَيْنَاهُ .
 قَالَ الْأَوْلَادُ : أَمَّا نَحْنُ فَتَجَهَّدُ جَمِيعًا أَنْ نَكُونُ
 شُبَّانًا تَشَاوُوا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَ تَجَهَّدُ فِي غَيْرِ ذَلِكَ
 مِنَ الْفَضَائِلِ أَيْضًا ، وَلَعَلَّنَا يَا أَبَانَا إِذَا جَمَعْنَا مِنْهَا خِصَالًا
 نَتَّالٍ بِهَا مَكَانًا خَاصًّا فِي ذَلِكَ الظَّلِّ أَيْضًا ، فَفَرَّقَ بَيْنَ
 مَنْ يَأْتِي بِفَضِيلَةٍ ، وَ بَيْنَ مَنْ يَأْتِي بِفَضَائِلٍ .

سُلَيْمَانُ : هُوَ كَذَلِكَ . « إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
الْحَسَنِينَ ، وَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا » .

① العَيْنُ

— ❦ —

الْعَيْنُ مِنْ عَجَائِبِ صُنْعِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَقَدْ خَلَقَهَا
اللَّهُ تَعَالَى مِرْآةً صَافِيَةً تَتَحَرَّكُ يَمِينًا وَ شِمَالًا ، وَ فَوْقَ
وَتَحْتَ ، يَنْظُرُ بِهَا الْإِنْسَانُ إِلَى جَمِيعِ الْجِبَاتِ ، ثُمَّ وَضَعَهَا
فِي مَخْجَرِ صُلْبٍ مِّنَ الْعَظْمِ ، وَ جَعَلَ عَلَيْهَا مِنَ الْجُفُونِ
غِطَاءً يَحْفَظُهَا مِنَ الْأَذَى ، وَ حَاطَهَا بِأَهْدَابٍ مِّنَ الشَّعْرِ
لِتَكُونَ سِيَاجًا يَذُبُّ عَنْهَا الذُّبَابَ وَ الْبُعُوضَ وَ الْغُسَارَ
الَّتِي تَدْخُلُ الْعَيْنَ ، فَتُسَبِّبُ لَهَا الْأَلَمَ وَ الْمَرَضَ وَ سَلَطَ
عَلَيْهَا مَاءً جَارِيًا يَغْسِلُ مَا يَدْخُلُ فِيهَا مِنَ الْأَوْسَاجِ .

وَ الْعَيْنُ عُزْضَةٌ لِّكَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرَاضِ ، كَالرَّمَدِ
وَ قِصْرِ النَّظَرِ ، وَ قَدْ عَمَّ هَذَا الْمَرَضُ الْأَخِيرُ فِي هَذَا
الزَّمَانِ ، فَلَجَأَ النَّاسُ حَتَّى الْأَطْفَالُ إِلَى اسْتِمْعَالِ مِنْظَرَةٍ ،
وَ لِلإِجْتِنَابِ عَنْ هَذِهِ الْأَمْرَاضِ يَحْسُنُ الْإِعْتَزَالُ عَنْ

الْغُبَارِ وَ الْأَثَرِيَّةِ ، وَ يَحْسُنُ التَّجَوُّلُ فِي الْأَمَاكِنِ
 الْفَسِيحَةِ ، وَ كَثْرَةُ غَسْلِ الْوُجْهِ بِالْمَاءِ الصَّافِي ، فَإِنَّهُ
 يَجْلُو الْعَيْنَ ، وَ يُنَقِّيهَا مِنَ الْأَوْسَاجِ وَالْقَذَى ، وَلِذَلِكَ
 كَانَ الْوُضُوءُ خَمْسَ مَرَّاتٍ كُلَّ يَوْمٍ - خُصُوصًا فِي
 الصَّبَاحِ عِنْدَ الْقِيَامِ - نَافِعًا جَدًّا .

وَ مُوَاصَلَةُ الْقِرَاءَةِ لَيْلًا فِي التُّورِ الضَّعِيفِ تُؤَثِّرُ
 فِي النَّظَرِ تَأْثِيرًا كَبِيرًا ، وَ تَضُرُّ بِهِ ضَرَرًا عَظِيمًا ، فَعَلَى
 مَنْ أَلْجَأَتْهُ الضَّرُورَةُ إِلَى ذَلِكَ أَنْ يَسْتَعْمِلَ مِنَ الْمَصَائِجِ
 مَا كَانَ ذَا نُورٍ رَاقٍ مُعْتَدِلٍ غَيْرِ سَاطِعٍ وَ لَا
 ضَعِيفٍ .

وَالْعَيْنُ جَوْهَرَةٌ غَالِيَةٌ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُشْتَرَى بِالْمَالِ ،
 وَ بِهَا يَتَمَتَّعُ الْإِنْسَانُ بِجَمَالِ الطَّبِيعَةِ ، وَ يَقْضِي بِهَا
 حَاجَاتٍ فِي نَفْسِهِ ، وَ يَكُونُ عُضْوًا عَامِلًا مُفِيدًا مِّنْ
 أَعْضَاءِ الْأُسْرَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَ إِذَا فَقَدَ الْإِنْسَانُ بَصَرَهُ
 حُرِمَ شَيْئًا كَثِيرًا مِّنْ نِّعَمِ الدُّنْيَا وَ مَحَاسِنِهَا ، فَكَأَنَّمَا
 أَظْلَمَ لَهُ الْعَالَمُ ، وَ كَانَ كَلًّا عَلَى غَيْرِهِ ، وَ رُبَّمَا كَانَ
 عِيَالًا عَلَى عَصَا حَقِيرَةٍ لَا يَمْشِي بِغَيْرِهَا .

(١٢) الْعَيْنُ

—(٢)—

وَلِذَلِكَ كَانَتْ الْعَيْنُ ثَمِينَةً غَالِيَةً وَنِعْمَةً جَلِيلَةً ، حَتَّى
 قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ : إِذَا ابْتَلَيْتُ
 عَبْدِي بِحَبِيبَتِهِ فَصَبَرَ ، عَوَّضْتُهُ مِنْهَا الْجَنَّةَ ، يُرِيدُ عَيْنِيهِ .
 وَ لَا يَلْزِمُ أَنْ يَكُونُ الْإِنْسَانُ إِذَا فَقَدَ بَصَرَهُ
 عَاطِلًا ضَائِعًا ، فَلَقَدْ فَاقَ كَثِيرٌ مِّنَ الْعُمَيَّانِ كَثِيرًا مِّنْ
 أَهْلِ الْبَصَرِ فِي الْعِلْمِ ، وَ أَقَرَّتْ لَهُمُ الدُّنْيَا بِالْفَضْلِ ،
 كَالْمُفَسِّرِ قَتَادَةَ ، وَ الْمُحَدِّثِ حَمَادِ بْنِ زَيْدٍ ، وَ الْفَقِيهِ زَيْدِ
 الْبَصْرِيِّ ، وَ التَّحَوُّيَّ أَبِي جَعْفَرٍ ، وَ الْأَدِيبِ أَبِي الْعَلَاءِ
 الْمُعَرِّيَّ ، وَ الشَّاعِرِ بَشَّارِ بْنِ بُرْدٍ ، وَ إِمَامِ التَّجْوِيدِ
 الْإِمَامِ الشَّاطِئِيِّ .

وَ مِنْ حَقِّ هَذِهِ النِّعْمَةِ أَنْ يُحَافِظَ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ
 وَ أَنْ يَصُنَّ بِهَا عَنْ تَحَارِمِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى
 « يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ ، وَ مَا تُخْفِي الصُّدُورُ » ،

وَ مِنْ حَقِّهَا أَنْ يَسْتَعْمِلَهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، وَ أَنْ يُرِيقَ
 دَمْعَهَا فِي خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَ قَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ .

« لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ قَطْرَتَيْنِ وَ اثْرَيْنِ :
 قَطْرَةٌ دُمُوعٍ مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَ قَطْرَةٌ دِمٍ تَهْرَاقُ فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ ، وَ أَمَّا الْأَثْرَانِ : فَأَثَرٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَ أَثَرٌ
 فِي فَرِيضَةٍ مِّنْ فَرَائِضِ اللَّهِ » .

وَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ : اَللّٰهُمَّ اِنِّى
 اَعُوْذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ،
 وَ مِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ، وَ مِنْ عَيْنٍ لَا تَدْمَعُ ، وَ مِنْ
 دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ ، وَ مِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا .



(١٣) أَدَبُ الْمَعَاشِرَةِ

| | |
|--|--|
| تَرْمِزُ الدَّهْرَ الْعَجَبَ وَ لَا تُفَاخِرُ بِنَسَبِ وَالْكِسْفِ فِي الْفُطَانَةِ لَا تُوحِشِ الْأَنْيَسَا تَنْقَرِ الْأَصْحَابَا تَدْعُو إِلَى الْمَجَانِبَةِ بَيْنَ سَرَاةٍ رُؤَسَا وَ كُنْ غَلَامَ الطَّاعَةِ مَا رَاقٍ بِالْمَقَامِ وَ طَيِّبِ الْأَخْبَارِ وَ النَّكْتَ الْمُبْتَذَلَةِ وَ اجْتَنِبِ الْمِزَاحَا | أَسْلُكْ مَعَ النَّاسِ الْأَدَبَ وَ لَا تُطَاوِلْ بِنَشَبِ الْعِزِّ فِي الْأَمَانَةِ لَا تُغْضِبِ الْجَلِيسَا لَا تُكْثِرِ الْعِتَابَا فَكَثْرَةُ الْمُعَاتَبَةِ وَ إِنْ حَلَلْتَ مَجْلِسَا فَاقْصِدْ رِضَا الْجَمَاعَةِ وَ قُلْ مِنْ الْكَلَامِ كَرَائِقِ الْأَشْعَارِ وَ اتْرُكْ كَلَامَ السَّفَلَةِ وَ لَا تَكُنْ مِلْحَاحَا |
|--|--|

فَكَثْرَةُ الْمُجُوزِ
 نَوْعٌ مِّنَ الْجُمُودِ

(١٤) عِيدُ الْأَضْحَى

كَانَ الْيَوْمُ الْأَخِيرُ مِنْ شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ ، وَكَانَ الْيَوْمُ
التَّاسِعَ وَالْعِشْرُونَ مِنَ الشَّهْرِ ، رَأَى وَالِدِي الْهَلَالَ ، وَكَانَ
دَقِيقًا جَدًّا ، وَمَا رَأَيْتُهُ إِلَّا بِاجْتِهَادٍ وَبَحْثٍ ؛ وَرَأَيْتُ وَالِدِي
يَقُولُ وَيَدْعُو ، قُلْتُ لَهُ : مَاذَا تَقُولُ فِي دُعَائِكَ يَا أَبْنَى ؟
قَالَ وَالِدِي : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى الْهَلَالَ قَالَ :
« اللَّهُمَّ أَهْلُهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَ الْإِيمَانِ وَ السَّلَامَةِ
وَالْإِسْلَامِ ، رَبَّنَا وَرَبُّكَ اللَّهُ ، هِلَالَ رُشْدٍ وَخَيْرٍ » .
فَتَعَلَّمْتُهُ مِنْ وَالِدِي وَ حَفِظْتُهُ .

وَضَنَنْتُ أَنَّ الْعِيدَ غَدًا ، فَأَخْبَرَنِي أَبِي أَنَّ الْعِيدَ بَعْدَ تِسْعَةِ
أَيَّامٍ ، فَإِنَّ عِيدَ الْأَضْحَى الْيَوْمُ الْعَاشِرُ مِنْ شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ ،
وَ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ مِنَ الشَّهْرِ عَطَّلَتِ الْمُدْرَسَةُ ،
وَأَخْبَرَنِي الْمُعَلِّمُ أَنَّ الْحُجَّاجَ يَذْهَبُونَ الْيَوْمَ إِلَى مَقَرِّ حَيْثُ
يَقِیُّونَ ، وَ هَذَا الْيَوْمُ يُسَمَّى يَوْمَ التَّرْوِيَةِ .

وَ فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّاسِعِ ، وَهُوَ يَوْمُ عَرَقَةِ ، يَذْهَبُ
الْحُجَّاجُ إِلَى عَرَفَاتٍ ، وَيُظَلُّونَ هُنَاكَ يَدْعُونَ وَيَذْكُرُونَ

اللَّهُ ، وَيَذْهَبُونَ مِنْهَا إِلَى الْمَزْدَلِفَةِ وَيَسْتَوُونَ هُنَالِكَ ، وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ الْعَاشِرِ يَرْجِعُونَ إِلَى مِثَى وَ يَنْحَرُونَ ، وَ ذَلِكَ يَوْمُ النَّحْرِ وَ هُوَ يَوْمُ الْعِيدِ .

وَ كَانَ أَبِي اشْتَرَى بَقْرَةً سَمِيَةً لِلذَّبْحِ ، قَالَ : فِيهَا سَبْعَةُ سِهَامٍ : اِثْنَانِ لِي وَلِأُمِّكَ ، وَ وَاحِدٌ لَكَ ، وَأَرْبَعَةٌ لِأَخَوَيْكَ وَ أَخْتِكَ .

وَ كَانَ أَبِي يَغْلُقُهَا وَيَسْقِيهَا بِنَفْسِهِ ، وَقَالَ : فِي ذَلِكَ فَضِيلَةٌ وَ أَجْرٌ .

وَ الْيَوْمَ الْعَاشِرَ غَيَّرْنَا اللَّبَاسَ ، وَ كَانَ أَبِي قَدْ أَعَدَّ لِي لِبَاسًا جَدِيدًا ، أَمَّا الْحِذَاءُ ، فَكَانَ حِذَاءَ الْعِيدِ ، وَ كَانَ نَظِيفًا لَمْ يَتَوَسَّخْ ، كَأَنَّهُ جَدِيدٌ ، لِأَنِّي مَا كُنْتُ أَلْبَسُهُ إِلَّا قَلِيلًا ، وَ تَطَيَّبَ أَبِي وَغَيْرَ اللَّبَاسِ ، وَ خَرَجْنَا مَعَ الْجَمَاعَةِ إِلَى الْمُصَلَّى ، فَكَبَّرَ وَهَلَّلَ جَهْرًا ، وَ صَلَّى الْإِمَامُ بِالنَّاسِ وَ خَطَبَ ، وَ ذَكَرَ أَحْكَامَ الْأُصْحِيَّةِ ، وَ رَجَعْنَا مِنَ الْمُصَلَّى بِطَرِيقٍ آخَرَ ، وَ ذَبَحَ أَبِي الْبَقْرَةَ وَ سَمَّى اللَّهَ وَ كَبَّرَ ، وَ وَزَعَتْ أُمِّي اللَّحْمَ عَلَى الْمَسَاكِينِ وَ الْأَقْرَبِ وَ الْأَصْدِقَاءِ ، وَ طَبَخَتْ لَنَا أَيْضًا ، فَمَا تَغَدَّيْنَا إِلَّا بِاللَّحْمِ

أُضْحِيَّتَنَا .

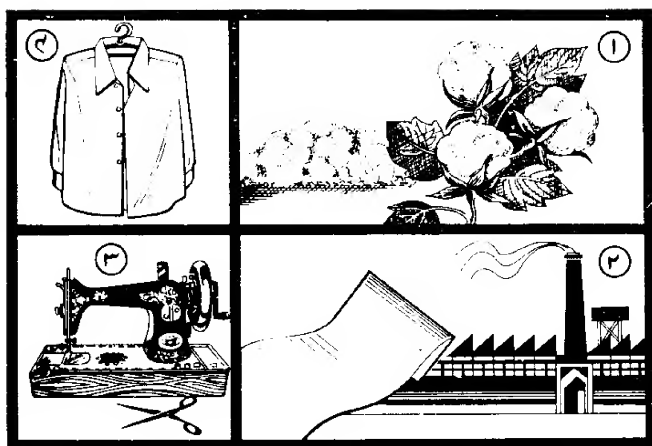
وَ تَوَفَّرَ كَثِيرٌ مِّنَ اللَّحْمِ ، فَاحْتَفَظْتُ بِهِ أُمِّي
وَأَبِيئَهُ ، وَ لَمْ نَزَلْ نَأْكُلْ مِنْ هَذَا الْقَدِيدِ مُدَّةً طَوِيلَةً .
وَ كَانَتْ فِي أَيَّامِ الْعِيدِ الثَّلَاثَةِ مَادِبٌ كَثِيرَةٌ ،
وَ كَانَتْ أَيَّامٌ أَكَلٍ وَ شُرْبٍ ، وَ قَدْ دَعَا أَنِي لَيْلَةَ يَوْمِ
الْعِيدِ جَمَاعَةً مِّنْ أَصْدِقَائِهِ وَ جِيرَانِهِ ، وَ صَنَعْتُ أُمِّي
طَعَامًا مَّكْلُونًا ، فَأَكْثَرْتُ وَ أَطَابْتُ .

وَ الْيَوْمَ الثَّانِي كُنَّا ضُبُوفًا عِنْدَ جَارِنَا الْكَرِيمِ :
السَّيِّدِ حُسَيْنِ الطَّيِّبِ . وَ كَانَتْ مَادِبَةٌ عَظِيمَةً ، وَ لَمْ
أَكُلْ مِنَ اللَّحْمِ فِي طُولِ الشَّهْرِ مَا أَكَلْتُ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ
وَ لَمْ يَضُرَّ شَيْئًا .

وَ كُنْتُ أَسْمَعُ الْإِمَامَ مِنْ جَرِّ يَوْمِ عَرَفَةَ إِلَى
عَصْرِ الْيَوْمِ الْأَخِيرِ مِنْ أَيَّامِ الشَّرِيقِ يَعْنِي الثَّلَاثَ عَشَرَ
مِنْ ذِي الْحِجَّةِ يُكَبَّرُ وَ يُهَلَّلُ دُبُرُ كُلِّ صَلَاةٍ مَّكْتُوبَةٍ .



١٥) تَارِيخُ الْقَمِيصِ



إِنَّكَ لَإِستَ قَمِيصًا جَدِيدًا ، فَأَبْلِ وَ أَخْلِقِ !
وَلَكِنْ هَلْ تَعْرِفُ مِنْ تَارِيخِهِ شَيْئًا ، هَلْ تَعْرِفُ كَيْمَ عَمِلَ
فِيهِ مِنَ الْأَيْدِي ، وَ كَيْمَ اشْتَغَلَ بِهِ النَّاسُ ، وَ كَيْمَ تَعَبَ
فِيهِ الْعَامِلُونَ ، وَ كَيْفَ وَصَلَ إِلَيْكَ ؟

كَانَ أَوَّلُ أَمْرِهِ أَنَّ الزَّرَّاعَ زَرَعَ الْقُطْنَ وَتَحَمَّلَ
فِي زِرَاعَتِهِ عَنَاءً شَدِيدًا ، فَإِنَّ زِرَاعَةَ الْقُطَنِ فِيهَا تَعَبٌ
عَظِيمٌ ، وَشُغْلٌ طَوِيلٌ ، حَرَّتِ الْأَرْضُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ،
أَوْ أَكْثَرَ ، وَشَقَّ خُطُوطًا ، وَمَلَأَهَا بِالْمَاءِ ، وَتَرَكَهَا حَتَّى

جَعَثَ ، وَحَفَرَ فِي جَنْبِهَا حُفْرًا ، ثُمَّ بَذَرَ فِيهَا بُدُورًا مِّنَ
الْقُطْنِ قَدْ نَقَعَهَا بِالْمَاءِ لَيْلَةً ، وَ لَمَّا نَجَمَ النَّبَاتُ عَزَقَ
الْفَلَّاحُ الْخُطُوطَ ، فَجَعَلَ بَاطِنَهَا ظَاهِرَهَا ، وَقَلَعَ الْحَشَائِشَ
الَّتِي تَضُرُّ بِالْقُطْنِ ، وَأَرَوَاهَا مِرَارًا ، وَلَمْ يَزَلِ الْفَلَّاحُ
يَخْدُمُ الْحَقْلَ ، وَيَتَعَبُ وَلَا يَسْتَرِيحُ شَهْرًا ، حَتَّى ظَهَرَ
فِيهَا الْقُطْنُ ، فَانْبَثَ الْأَوْلَادُ مِنَ الْبَيْنِ وَالْبَنَاتِ فِي
الْحَقْلِ ، وَ جَنَوْا الْقُطْنَ .

وَلَمَّا جُمِعَ الْقُطْنُ أُرْسِلَ إِلَى الْحَلَّاجِ ، فَخَلَجَهُ ، ثُمَّ
نُقِلَ إِلَى بَعْضِ الْمَصَانِعِ فَعُزِلَ ، ثُمَّ أَخَذَهُ الْحَائِكُ ، وَمَدَّهُ
خِيوطًا مُتَقَارِبَةً ، وَلَمْ يَزَلِ يَشْتَغِلُ وَيَتَعَبُ أَيَّامًا ، حَتَّى
نَسَجَهُ ثَوْبًا نَاعِمًا مَّتِينًا ، وَ اشْتَرَى تَاجِرٌ ذَلِكَ الثَّوْبَ
وَوَضَعَهُ فِي دُكَّانِهِ ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُوكَ بِمَالِهِ الَّذِي اكْتَسَبَهُ
بِعَرَقِ الْجَبِينِ ، وَ تَعَبَ فِيهِ أَيَّامًا ، وَ أَنْتَ مُسْتَرِيحٌ فِي
الْبَيْتِ تَأْكُلُ وَ تَنَامُ ، وَ ذَهَبَ ذَلِكَ الثَّوْبُ إِلَى خِيَاطِ
فَقَصَلَ مِنْهُ لَكَ قَمِيصًا ، ثُمَّ خَاطَهُ لَيْلَةَ الْعِيدِ وَهُوَ سَاهٍ ،
وَ أَنْتَ فِي فِرَاشِكَ نَائِمٌ .

وَجَاءَ إِلَيْكَ الْقَمِيصُ مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ مِّنْكَ وَشَغْلٍ ،

أَفَلَا يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تُقُولَ إِذَا لَيْسَتْهُ :
 اللَّهُمَّ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ ، وَ أَلْبَسْتَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ
 مِنِّي وَ لَا قُوَّةٍ ، أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ ، وَ خَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ ،
 وَ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ ، وَ شَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ .

①٦ الأسد

الْأَسَدُ مَلِكُ الْغَابَةِ ، وَ سَيِّدُ السَّبَاعِ ، وَ هَيْئَتُهُ
 تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ ، فَلَهُ مَنْظَرٌ مُهَيْبٌ ، وَ زَيْبٌ تَدْوِي لَهُ
 الْغَامَاتُ ، وَ يَطِيرُ لَهُ قَلْبُ الشُّجَاعِ ؛ قَوِيُّ الْبَاسِ ، كَبِيرُ
 الْجِسْمِ ، يُحِيطُ بِرَأْسِهِ شَعْرٌ كَثِيرٌ يَكَادُ يَحْجُبُ رُكْبَتَيْهِ ، إِذَا
 غَضِبَ تَجَعَّدَتْ جَبْهَتُهُ وَ خَدَاهُ ، وَ كَثُرَ عَنْ أَنْبَاهِ
 وَ أَرْقَتْ عَيْنَاهُ ، وَ اخْتَلَجَ حَاجِبَاهُ ، وَ وَقَفَ شَعْرُ بَدَنِهِ ،
 وَ ضَرَبَ بِذَنَبِهِ جَنِينَهُ ، وَ أَطْبَقَ عَيْنَيْهِ ، وَ مَالَ إِلَى
 الْأَرْضِ ، وَ وَثَبَ عَلَى فَرَسَتِهِ كَالصَّاعِقَةِ ، حَتَّى إِذَا
 ظَفَرَ بِهَا أَخَذَ فِي مُلَاعَبَتِهَا ، ثُمَّ مَرَقَهَا بِأَنْبَاهِهِ تَمْزِيقًا .
 وَ إِذَا كَانَ الْأَسَدُ مُقَدِّدًا دَلَّتْ هَيْئَتُهُ عَلَى الْهَمِّ ،

فَإِذَا أَفْلَتَ وَ هُجَّجَ أُنْدَفَعَ مِنْ عَرِينِهِ ، وَ هُوَ أَكْثَرُ
شَجَاعَةً فِي اللَّيْلِ مِنْهُ فِي النَّهَارِ ، وَ يَمْزُجُ بِالْإِنْسَانِ ،
وَلَا يَتَعَرَّضُ لَهُ إِلَّا إِذَا كَانَ ضَارِيًا أَوْ هَاجَهُ إِنْسَانٌ .

وَ يَهْجُمُ عَلَى الْحَيَوَانَاتِ كَالْحَيْلِ وَ الْجَمَالِ وَ الْبَقَرِ
وغيرها ، وَ يَصِيدُ الطَّيْرَ وَ يَأْكُلُهُ رَغْبَةً ، وَ تَدْفَعُهُ
الْجَرَاءَةُ إِلَى اخْتِطَافِ الْإِنْسَانِ مِنْ بَيْنِ قَوْمِهِ .

وَ أَنْتَى الْأَسَدُ تُعْرَفُ بِالْبُوءَةِ ، وَهِيَ أَصْغَرُ جُنَّةٍ ،
وَ أَخَفُّ حَرَكَةً ، وَ أَشَدُّ غَضَبًا مِنْهُ ، وَ جَرَّوْهَا يُعْرَفُ
بِالشَّيْبِلِ ، وَ يَبْدَأُ فِي الْإِفْتِرَاسِ ، وَ يَهْتَمُّ بِقُوَّتِهِ إِذَا بَلَغَ
الثَّانِيَةَ مِنْ عُمُرِهِ .

وَ مُعَدَّلُ طُولِ الْأَسَدِ ثَلَاثُ أَذْرُعٍ ، وَ عُلوُّهُ ذِرَاعٌ
وَ رُبْعٌ ، وَ مُعَدَّلُ مَا يَعِيشُ خَمْسُ وَعِشْرُونَ سَنَةً ، وَ قَدْ
يَبْلُغُ فِي قَفْصِهِ مِائَةً سَنَةً أَوْ أَكْثَرَ .



(١٧) غُرُورُ الدُّنْيَا

| | |
|--|---|
| <p>إِلَّا الْقَنُوعُ الزَّاهِدُ وَمَا أَذَلَّ مَنْ طَمِعُ بِحُسْنِهَا وَ الطَّيِّبَةُ خَدَاعَةُ غَرَّارَةٍ زَوَاهَا قَرِيبُ لَيْسَ لَهَا أَمَانَةٌ تُشَتُّ الْأَثَرَابَا تَمَلُّ مَنْ لَازَمَهَا كَثِيرُهَا قَلِيلُ صُدُودُهَا بَلَاءُ وَيَنْعَمُ الْأُنْدَالُ وَيَتَعَبُ الْأَدِيبُ</p> | <p>تَقُولُ لَيْسَ الْمَاجِدُ فَمَا أَعَزَّ مَنْ قَنِعَ دُنْيَاكُمْ حَيَّةُ لِكِنَّا غَدَّارَةٌ لَيْسَ لَهَا حَيِّبُ مَلُوءَةٌ خَوَانَةٌ تَفَرِّقُ الْأَحْبَابَا حَرْبُ لَمَنْ سَالَمَهَا عَزِيزُهَا ذَلِيلُ وَصَالُهَا عَنَاءُ يَحْطِي بِهَا الْجُهَالُ يَشْقَى بِهَا اللَّيْتُ</p> |
|--|---|

(أبو السَّاهِي)

①٨ رِسَالَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

إِذَا جَاءَكَ قَرِيبٌ أَوْ صَدِيقٌ ، وَ قَالَ : إِنِّي مُسَافِرٌ
إِلَى الْوَطَنِ ، وَ سَأَقَابِلُ أَبَاكَ ، فَهَلْ تُوصِنِي بِشَيْءٍ ؟ وَ هَلْ
لَكَ رِسَالَةٌ إِلَيْهِ أَجْلِبُ مِنْكَ ، وَ أُبَلِّغُهَا إِلَيْهِ ؟ . فَلَا تَشْكُ
أَنَّهُ سَيَجْتَمِعُ بِأَيْدِكَ ، وَ رُبَّمَا يَسْأَلُ أَبُوكَ عَنْكَ خَبْرًا
سَارًّا ، وَ بُشْرَى صِحَّتِكَ . فَتَقُولُ : اقْرَأْ عَلَى وَالِدِي مِنِّي
السَّلَامَ ، وَ قُلْ لَهُ : إِنَّ ابْنَكَ بِخَيْرٍ ، وَ كَمَا تُحِبُّ مِنْ
صِحَّةٍ وَ سُرُورٍ .

كَذَلِكَ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْمَوْتَ جَسْرٌ
إِلَى الْآخِرَةِ ، وَ كُلُّ مَنْ عَبَرَ هَذَا الْجَسَرَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
وَ صَلَ إِلَى الْآخِرَةِ ، وَ اجْتَمَعَ هُنَالِكَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،
وَ تَشَرَّفَ بِزِيَارَتِهِ ، وَ لَا يُدْرِكُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَائِلٌ
عَنْ أُمَّتِهِ .

وَ يُمْكِنُ أَنْ لَا يَصِلَ قَرِيبُكَ أَوْ صَدِيقُكَ إِلَى
الْوَطَنِ لِمَسَانِعٍ أَوْ حَادِثَةٍ ، أَوْ يَصِلَ إِلَى الْوَطَنِ ،
وَ لَا يَجْتَمِعُ بِأَيْدِكَ ، وَلَكِنَّ الْمُسْلِمِينَ مَا كَانُوا يَشْكُونُ فِي

وَصُولِ الْمَيِّتِ إِلَى عَالَمِ الْآخِرَةِ ، وَاجْتِمَاعِ الشَّهِيدِ
بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

زَحَفَ لِلْمُسْلِمُونَ إِلَى الشَّامِ ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ
أَخْبَرَهُمْ « لَتَفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى وَقَيْصَرَ » وَقَدْ وَعَدَهُمَا
اللَّهُ بِالنَّصْرِ ، وَقَالَ : « وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْمُتَصَوِّرُونَ ،
وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ » وَكَانُوا وَاثِقِينَ بِالنَّصْرِ
وَالْفَتْحِ ، وَكَذَلِكَ كَانَ ، فَقَدْ فَتَحُوا مَدِينَةَ بَعْدَ مَدِينَةٍ ،
وَهِزَمُوا جُنْدًا بَعْدَ جُنْدٍ .

وَجَاءَ رَجُلٌ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ - رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ ، قَائِدِ الْمُسْلِمِينَ - فَقَالَ : إِنِّي قَدْ تَهَيَّأْتُ لِأَمْرِي
أَيُّ الشَّهَادَةِ ، فَبَلَ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .
قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : نَعَمْ ! تَقْرَأُهُ عَنِّي السَّلَامَ ، وَتَقُولُ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ! إِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا
حَقًّا (١) .



(١) البداية و النهاية لابن كثير ، ص ١٢ ، ج ٧ .

١٩) حَادِثَةٌ

زَارَنَا مَرَّةً صَيْفٌ كَرِيمٌ ، وَ بَاتَ عِنْدَنَا لَيْلَةً ،
و فِي الصَّبَاحِ قُلْتُ لَهُ : أَسْتَحِمْ يَا سَيِّدِي ؟ .
وَ كَانَ يَوْمٌ جُمُعَةٍ ، قَالَ : نَعَمْ ، قُلْتُ : هَذَا مُغْتَسَلٌ ،
قَالَ : بَلْ أَسْتَحِمْ فِي النَّهْرِ .

وَ كَانَ الشَّيْخُ يَعْرِفُ السَّبَاحَةَ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَتَّقِ لَهُ
أَنْ يَسْبَحَ مِنْ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ ، وَ سَمِعْتُ أَنَّ الْإِنْسَانَ
لَا يَنْسَى السَّبَاحَةَ إِذَا تَعَلَّمَهَا ، إِلَّا أَنَّهُ يَتَعَبُ سَرِيعًا .

وَ كَانَ النَّهْرُ فَائِضًا ، وَكَانَ يَجْرِي بِقُوَّةٍ ، فَخَاضَ
الشَّيْخُ النَّهْرَ ، وَبَدَأَ يَسْبَحُ ، فَمَا لَيْثَ أَنْ كَلَّتْ عَضُدُهُ ،
وَخَارَتْ قُوَاهُ وَ أَعْيَا ، وَدَفَعَهُ الْمَاءُ بِقُوَّةٍ ، فَعَمَلَ يَجْرِي
فِي تَبَارِهِ لَا يَمْلِكُ مِنْ أَمْرِهِ شَيْئًا ، وَ أَتَقَنَ بِالشَّرِّ .

فَجَعَلَ يَصْرُخُ وَ يَسْتَعِيثُ ، وَ يَقُولُ : يَا رَجُلًا ،
خُذْ يَدَيَّ ، وَ جَعَلَ يُذَكِّرُ ، وَ يَقُولُ : اللَّهُ ! اللَّهُ !
كَأَنَّهُ فِي آخِرِ عَهْدِهِ بِالدُّنْيَا ، وَ جَعَلَ يَغْطِسُ وَ يَطْفُو .
فَسَقَطَ فِي أَيْدِينَا . وَ خِفْنَا عَلَيْهِ الْغَرَقَ ، وَ كَانَ

أَحَدُ أَقَارِبِنَا مِمَّنْ يُحْسِنُونَ السَّبَاحَةَ يَفْتَسِلُ فِي النَّهْرِ ،
فَقُلْنَا: دُونَكَ الْأُسْتَاذَ ، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ بِسُرْعَةٍ ، وَ لَمَّا رَأَى
الشَّيْخَ مُنْجِدًا تَشَجَّعَ قَلِيلًا ، وَ أَرَادَ أَنْ يُمْسِكَهُ .

وَ الْكِنَ كَانَ الرَّجُلُ عَاقِلًا مُجَرَّبًا ، وَ كَانَ يَعْرِفُ أَنَّ
الْغَرِيقَ يَرْكَبُ مَنْ يُنْجِدُ وَ يَأْخُذُ بِتَلَايِيهِ ، وَ يَغْرَقَانِ
جَمِيعًا ، فَلَمْ يَمْهَلْهُ مِنْ نَفْسِهِ ، بَلْ غَطَسَ وَ دَفَعَهُ مِنْ
أَسْفَلَ إِلَى الشَّاطِئِ ، وَلَمْ يَزَلِ الشَّيْخُ يَجْتَهِدُ أَنْ يُمْسِكَهُ ،
وَ الرَّجُلُ يَدْفَعُهُ إِلَى الْأَمَامِ حَتَّى أَوْصَلَهُ إِلَى الشَّاطِئِ .

وَ كَانَ الشَّيْخُ كَالْمُغْنَمِ عَلَيْهِ لَا يَمْقِلُ شَيْئًا ، وَ كَانَ
عَلَى الشَّاطِئِ رَجُلٌ يَصِيدُ السَّمَكَ ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ
وَقَالَ : مَدَّ عُودَكَ لِيُمْسِكَ الشَّيْخَ ، فَدَنَا الصَّيَادُ عُودَهُ ،
وَ جَعَلَ يَضْرِبُ بِهِ عَلَى رَأْسِهِ ، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ وَ لَا يُمْسِكَهُ ،
وَ بَعْدَ حِينٍ أَمْسَكَ بِالْعُودِ ، وَ وَصَلَ إِلَى الشَّاطِئِ .

وَ كَانَ الشَّيْخُ قَدْ شَرِبَ كَثِيرًا مِّنَ الْمَاءِ ، فَتَكَثَّرَتْ
حَتَّى قَاءَ بِالْمَاءِ وَ أَفَاقَ ، وَ رَجَعَ إِلَيْهِ الشَّعُورُ وَ الْقُوَّةُ .
وَ كَانَ عَلَى شَاطِئِ آخَرَ مِنَ النَّهْرِ ، فَصَنَعُوا لَهُ
مَرْكَبًا مِّنَ الْجِرَارِ ، وَ رَكِبَهُ الشَّيْخُ ، وَ أَمْسَكَ بِالْحَبْلِ ،

وَحَوْلَهُ عَدَدُ كَبِيرٍ مِّنْ فُرْسَانِ السَّبَاحَةِ ، وَ أَهْطَالَ
 الْمَاءَ ، وَ رَجَعَ فِي الْمَوْكِبِ إِلَى الشَّاطِئِ ، وَ قَدْ ذُِعِرَ
 الْأُسْتَاذُ بِهَذِهِ الْحَادِثَةِ ، فَكَانَ يُوصِي كُلَّ مَنْ يَزُورُ
 قَرِيْبَتَنَا أَنْ لَا يَدْخُلَ النَّهْرَ ، وَ كَانَ يَقُولُ : إِذَا أَرَدْتَ
 أَنْ تَمْتَنَعَ بِالدُّنْيَا ، فَإِيَّاكَ وَ النَّهْرَ .

وَ كَانَ الشَّيْخُ لَا يَزَالُ يَعْتَبُ عَلَى الرَّجُلِ أَنَّهُ
 لَمْ يُنَجِّدْهُ ، وَ لَمْ يَمُدَّ إِلَيْهِ يَدَهُ ، وَ لَا يَرَاهُ مُعْذُورًا فِي
 هَذَا الْأَمْرِ .

٢٠) فَتَى الْأَسْلَامِ

هَلْ تَعْرِفُ فَيَانَا هُمْ فِي السَّابِعَةِ عَشْرَةَ ، أَوْ
 الثَّامِنَةِ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِمْ ؟ بَلَّغَكَ اللَّهُ فَوْقَ هَذِهِ السَّنِ
 وَ عَمْرِكَ طَوِيلًا .

إِنَّكَ لَتَعْرِفُ مِنْهُمْ كَثِيرًا ، فَهَلْ تَعْرِفُ عَنْهُمْ غَيْرَ
 أَنَّهُمْ يَا كُلُّونَ وَ يَشْرَبُونَ ، وَ يَرْتَعُونَ وَ يَلْعَبُونَ
 وَ يَتَجَمَّلُونَ فِي الْمَلَابِسِ ، وَ يَتَأَنَّقُونَ فِي الْهِنْدَامِ وَالزَّيْنَةِ .
 وَ إِذَا امْتَارَ فِيهِمْ فَتًى ، وَ عَلَتْ هِمَّتُهُ ، عَكَفَ عَلَى

دِرَاسَتِهِ وَ مُطَالَعَتِهِ ، وَ جَدَّ فِيهَا وَ اجْتَهَدَ ، حَتَّى بَرَزَ
 فِي الْإِخْتِبَارَاتِ ، وَ أَحْرَزَ الْجَوَائِزَ وَ الْوِسَامَاتِ .
 وَإِذَا طَمَحَ فِيهِمْ شَابٌّ اجْتَهَدَ لَوْظِيقَةٍ فِي مَصْلَحَةٍ
 مِّنْ مَّصَالِحِ الْحُكُومَةِ فَصَارَ يَتَقَاضَى رَاتِبًا شَهْرِيًّا .
 ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ ، وَ تِلْكَ أَقْصَى أَمَانِيهِمْ
 فِي الْحَيَاةِ .

وَالَكِنَّ لَّمَّا كَانَتْ دَوْلَةُ الْإِسْلَامِ ، وَ كَانَتْ الْهِمَمُ
 عَالِيَةً ، كَانَ الشَّابُّ الْمُسْلِمُ يَطْمَحُ إِلَى إِقَامَةِ الْجِهَادِ ،
 وَفَتْحِ الْبِلَادِ ، فَيَفْتَحُ قُطْرًا أَوْ يُؤَسِّسُ دَوْلَةً أَوْ يَمُوتُ
 شَهِيدًا .

هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ قَاسِمٍ الثَّقَفِيُّ قَدْ غَزَا الْهِنْدَ - وَهِيَ
 بِلَادٌ بَعِيدَةٌ مِّنْ بِلَادِ الْعَرَبِ وَرَاءَ الْبَحَارِ - فَهَزَمَ الْجُنُودَ ،
 وَقَتَلَ الْمُلُوكَ ، وَ وَظَّفَ الْخِرَاجَ ، وَسَبَى الذَّرِّيَّةَ ، وَفَتْحَ
 مُحَمَّدُ السِّنْدَ ، وَ تَوَعَّلَ فِي الْهِنْدِ ، حَتَّى قَطَعَ نَهْرَ يَنَاسَ
 إِلَى الْمُلْتَانِ ، وَ فَتَحَهَا . وَخَضَعَ أَهْلُ الْهِنْدِ لِمُحَمَّدٍ ،
 وَأَحْبَوْهُ لِدِينِهِ وَ كَرَمِهِ وَ عَدْلِهِ ، مَعَ أَنَّ السُّلُوكَ الشَّاهِرَ
 لَا يُحِبُّ ، وَ صَنَعُوا لَهُ تِمْنَالًا عَلَى عَادَةِ أَهْلِ الْهِنْدِ .

و تِلْكَ الْفُتُوحُ الْعَظِيمَةُ كُلُّهَا كَانَتْ فِي مُدَّةٍ
قَصِيرَةٍ جِدًّا .

هَذَا ، وَ فَاتَحَ السُّدَّ لَمْ يَتَجَاوَزِ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ مِنْ
عُمُرِهِ ، وَ فِي ذَلِكَ قَالَ الشَّاعِرُ :

سَاسَ الرِّجَالِ لِسَبْعِ عَشْرَةَ حِجَّةً

وَلِدَاتُهُ عَنْ ذَاكَ فِي أَشْغَالِ

③ الرِّمَائِيَّةُ

سَأَلْتُ أَبِي أَنْ يَشْتَرِيَ لِي بُدْقِيَّةً صَغِيرَةً ، لِأَصِيدَ
الطُّيُورَ : كَالْبَيْمَامِ وَ الْحَمَامِ وَ الْغُرَابِ الَّذِي يُؤْذِي كَثِيرًا
وَ يَلِغُ فِي الْمَاءِ ، وَ أَمْتَمَزَنَ عَلَى الرَّمِيِّ ، فَاشْتَرَى لِي بُدْقِيَّةً
وَ حُقَّةً مِّنَ الرَّشَاشِ

وَ كُنْتُ إِذَا رَجَعْتُ مِنَ الْمَدْرَسَةِ ، أَوْ كَانَ يَوْمٌ
عُطْلَةٌ أَخَذْتُ الْبُدْقِيَّةَ ، وَ عَدَدًا مِّنَ الرَّشَاشِ ، وَ ذَهَبْتُ
إِلَى الْبُسْتَانِ أَرْمِي الطُّيُورَ .

وَ فِي الْأَوَّلِ لَا أُصِيبُ طَائِرًا ، وَ أَخْطِئُ

كُلَّ مَرَّةٍ ، ثُمَّ صَرْتُ أَصِيبُ مَرَّةً فِي ثَلَاثِ طَلَقَاتٍ ،
وَأَصِيبُ بَعْضَ الطُّيُورِ ، حَتَّى تَمَرُّنْتُ فِي شَهْرَيْنِ ، وَاسْتَدَّ
سَاعِدَيَّ .

وَ رَأَيْتُ عِنْدَ رَجُلٍ مِّنَ الْأَغْنِيَاءِ شَيْئًا غَرِيبًا ،
كَانَتْ عِنْدَهُ صَفِيحَةٌ ، وَ كَانَ عَلَى وَجْهِهِ الصَّفِيحَةُ
مِثْلُ فُلْسٍ ، لَهُ لَوْنٌ يَلْمَعُ ، وَ يَظْهَرُ مِنْ بَعِيدٍ .
وَ كَانَ بِجَانِبِ هَذَا الْفُلْسِ مِثْلُ جِرَابٍ ، كَانَ
يَسْحَنُهُ بِالْبَارُودِ ، وَيَسُدُّهُ بِالْقِرْطَاسِ ، وَ كَانَ فِي هَذِهِ
الصَّفِيحَةِ رَسْمٌ مِّنْ حَدِيدٍ : جُنْدِيٌّ فِي لِبَاسِ جُنْدِيٍّ ، فِي
يَدِهِ قُبْعَةٌ .

وَ كُنَّا نُبَارِي فِي الرَّمْيِ ، وَ نَزِمِي هَذَا الْفُلْسِ
بِالرَّشَاشِ ، فَإِذَا أَصَابَ إِنْسَانُ الْفُلْسِ انْطَلَقَ الْمُدْفَعُ ،
وَ سَمِعَ النَّاسُ صَوْتَهُ مِنْ بَعِيدٍ ، وَ انْفَتَحَ الْبَابُ ،
وَ خَرَجَ رَجُلٌ مِّنْ حَدِيدٍ ، فِي يَدِهِ عَلَامَةٌ يُشِيرُ بِهَا إِلَى
الْمُتَدَفِّ وَ يُخَيِّرُ بِالْإِصَابَةِ .

وَ ظَهَرَ الْجُنْدِيُّ رَافِعًا قُبْعَتَهُ يَسْمُ عَلَى الْمُصِيبِ ،

وَكَأَنَّهُ يَهْتَمُّ بِنَجَاحِهِ .

وَإِذَا أَخْطَأَ النَّاسُ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ : لَمْ يَنْطَلِقِ الْمُدْفَعُ ،
وَلَمْ يَتَحَرَّكِ الْجُنْدِيُّ مِنْ مَكَانِهِ . وَمِنَ الْغَرِيبِ أَنِّي كُنْتُ
أُصِيبُ الْفُلْسَ فِي الْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ دَائِمًا ، وَ إِذَا انْطَلَقَ
الْمُدْفَعُ سُرِرْتُ سُرُورًا عَظِيمًا .

وَبَعْدَ أَشْهُرٍ قَدَرْتُ أَنْ أَسْتَعْمِلَ الْبُنْدُوقَةَ الْكَبِيرَةَ ،
فَكُنْتُ أَخْرُجُ فِي الصَّيْدِ ، وَأَصِيدُ الْحَمَامَ الْأَخْضَرَ وَالْبَطَّ ،
وَ أَنْوَاعًا مِّنَ الطُّيُورِ .

وَ سَمِعْتُ الْمُعَلِّمَ يَقُولُ : إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَثَّ عَلَى
الرَّمْيِ كَثِيرًا ، وَ شَارَكَ فِي الْمُنَاضَلَةِ ، وَ قَالَ : « إِرْمُوا
يَا بَنِي إِسْمَاعِيلَ ! فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا » وَ قَالَ : « أَلَا إِنَّ
الْقُوَّةَ الرَّمِّيَّ ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِّيَّ » .

فَسُرِرْتُ كَثِيرًا ، وَ عَلِمْتُ أَنَّ عَمَلِي لَمْ يَكُنْ
عَبَثًا ، وَ أَنِّي لَمْ أَضِيعْ وَقْتِي .



(٣٢) الْجَمَلُ

— ﴿٣٢﴾ —

أَنْظِرُوا إِلَى الْإِبِلِ : كَيْفَ خُلِقَتْ ، تَرَوْهَا
لَا مِثِيلَ لَهَا فِي الْخَلْقَةِ ، فَإِنَّ الْجَمَلَ أَكْبَرُ الْحَيَوَانِ الدَّاجِنِ
جِسْمًا وَأَطْوَلُهُ سَاقًا ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ رَقَبَتُهُ طَوِيلَةً ، حَتَّى
يُمْكِنُهُ أَنْ يَرَعَى الْكَلَاءَ مِنَ الْأَرْضِ بِدُونِ أَنْ يَبْرُكَ ،
وَرَأْسُهُ صَغِيرٌ لِيَكُونَ خَفِيفَ الْحَمْلِ عَلَى رَقَبَتِهِ ، وَأَرْجُلُهُ
فِيهَا أَخْفَافٌ تَمْنَعُ سَوْخَهَا فِي رِمَالِ الصَّحَرَاءِ الَّتِي كَثِيرَاتُهَا
يَسِيرُ فِيهَا ، وَعَلَى ظَهْرِهِ سَنَامٌ كُلُّهُ شَحْمٌ ، يُرْكَبُ عَلَيْهِ
الْقَتَبُ ، وَ عَيْنَاهُ سَوْدَاوَانِ وَاسِعَتَانِ ، تَشِفَّانِ عَنْ حِلْمٍ
وَدَعَةٍ ، وَ لَهُ فِي وَسْطِ بَطْنِهِ قُرْصٌ غَلِيظٌ يُسَمَّى
الْكُلْكَلُ ، يَسْتَدُّ عَلَيْهِ مَتَى بَرَكَ ، وَلَهُ فِي أَرْجُلِهِ قِطْعٌ
عَدِيمَةٌ الْحَسِّ فِي مَوَاقِعِهَا عَلَى الْأَرْضِ .

وَجَوْفُ الْجَمَلِ عَجِيبٌ فِي تَرْكِيبِهِ ، لِأَنَّهُ يَحْتَوِي عَلَى
جَمَلَةِ كُرُوشٍ ، يَخْزَنُ فِيهَا مِقْدَارًا عَظِيمًا مِّنَ الْعِذَاءِ حَتَّى إِذَا
جَاعَ ، وَلَمْ يَجِدْ أَكْلًا ، أَخْرَجَ مِنْ كِرْشِهِ جَرَّةً ، وَاجْتَرَّهَا ،
وَلِذَلِكَ يُسَمَّى حَيَوَانًا مُّجْتَرًّا ، وَإِذَا قَرَعَ مَا خَزِنَهُ فِي

جَوْفِهِ ، فَإِنَّ شَحْمَ سَنَامِهِ يَتَحَلَّلُ شَيْئًا فَشَيْئًا لِيَعْذُوهُ ،
وَيَكْفِيهِ مَدَّةً طَوِيلَةً .

وَاللِّجَمَلُ فِي جَوْفِهِ جُمْلَةٌ أَرْزَاقٍ تَمْتَلِي بِالْمَاءِ عِنْدَمَا
يَشْرَبُ ، حَتَّى إِذَا عَطِشَ فِي مَكَانٍ قَفَرٍ لَا مَاءَ فِيهِ ،
أَغْنَاهُ مَا خَزَنَهُ عَنِ الشَّرْبِ زَمَنًا طَوِيلًا .

③ ٢ ٢ ③ الْجَمَلُ

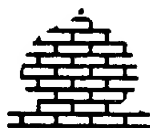
فِي عِدَّةِ جِهَاتٍ مِّنَ الدُّنْيَا صَحَارَى قَاحِلَةٍ لَّا حَيَوَانَ
فِيهَا ، وَ لَانَبَاتَ ، أَرْضُهَا رِمَالٌ جَافَةٌ .

لَا تَرَى فِيهَا قَطْرَةَ مَاءٍ ، يَسْلُكُهَا النَّاسُ اضْطِرَّارًا ،
فَيَحْمِلُونَ زَادَهُمْ : مِنْ مَّاءٍ وَ طَعَامٍ ، عَلَى ظُهُورِ الْجَمَالِ ،
وَيَسِيرُونَ فِي تِلْكَ الْقَفَارِ مُجْتَمِعِينَ ، وَ إِلَيْهِمْ مُتَابِعَةٌ
كَالْقَطَارِ ، وَ هِيَ تَسِيرُ بِهِمْ هَادِيَةً سَاكِنةً ، تَصِيرُ عَلَى
الْجُوعِ وَ الْعَطَشِ مُعْظَمَ الطَّرِيقِ ، لِأَنَّهَا قَدْ خَزِنَتْ
مَوْتَهَا فِي جَوْفِهَا قَبْلَ الرَّحِيلِ ، وَتَحْمِلُ فَوْقَ ذَلِكَ مِنَ
الْمُنَاجِرِ أَحْمَالًا ثِقَالًا ، لَا تَتَنُّ مِنْهَا وَلَا تَكِلُ ، فَتَرَى الْجَمَلَ

كَأَنَّهُ مَرْكَبٌ يَشُقُّ تِلْكَ الرَّمَالَ الْوَاسِعَةَ ، وَلِذَا
سُمِّيَ «سَفِينَةُ الصَّحْرَاءِ» . وَإِنَّ ضَلَّ الْمُسَافِرُونَ الطَّرِيقَ فِي
الصَّحْرَاءِ يَأْخُذُهُمُ الْقَلَقُ عَلَى حَيَاتِهِمْ ، خَافَةَ أَنْ يَنْفَدَ زَادُهُمْ
فَيَمُوتُونَ جُوعًا وَ عَطَشًا ، وَلَكِنَّ الْجَمَلَ يَنْقِذُهُمْ أَحْيَانًا
مِّنْ تِلْكَ الْأَخْطَارِ ، لِأَنَّهُ يَشُمُّ الْمَاءَ مِنْ بُعْدٍ ، فَيَسِيرُ نَحْوَهُ
بِسُرْعَةٍ عَرِيَّةٍ ، لِيَسْتَقِيَ صَاحِبُهُ .

وَالْجَمْلُ سَهْلُ الْقِيَادِ ، لَيْنُ الطَّبَاعِ ، يَتَحَمَّلُ كَثِيرًا
مِّنَ الْأَذَى بِالصَّبْرِ ، وَالْكِنَّهُ يَتَوَرَّ مَتَى بَلَغَ الْأَذَى شِدَّةً
عَظِيمَةً ، فَيَنْتَقِمُ مِمَّنْ آذَاهُ ، وَلَا يَتْرُكُهُ إِلَّا إِذَا تَارَ
لِنَفْسِهِ وَ قَتَكَ بِهِ .

وَإِذَا قَوِيَ الْجَمْلُ اشْتَدَّ بَأْسُهُ ، وَعَافَ الْأَكْلَ مَا لَمْ
يُوضَعْ فِي فَمِهِ ، وَ يَقُولُ النَّاسُ عَنْهُ : إِنَّهُ صَائِمٌ ، وَفِي
هَذِهِ الْحَالَةِ يُخْرِجُ شَفِيقَتَهُ مِنْ حَلْقِهِ وَ يَشْفِيقُ
مِنَ الْغَضَبِ .



٢٤) أَنَاهُنَا فَأَعْرِفُونِي



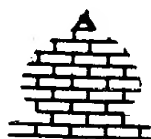
مَوْلِدِي وَ وَطَنِي مَا تُسَمُّونَهُ الْبَحْرُ ، أَنَا ابْنُ أُمَّةٍ
عَظِيمَةٍ ، قَدْ اُمْتَدَّتْ عَلَى مَسَافَةِ آلَافٍ مِّنَ الْأَمْيَالِ ،
وَيَقُولُونَ : إِنَّ أُمَّتِي أَعْظَمُ مِنْ أُمَّةِ الْبَرِّ ؛ فَقَدْ شَغَلْنَا
نَحْنُ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِ الْكُرَةِ ، وَالْيَاسِ مِنْهَا نَحْوُ رُبْعٍ .
وَقَدْ فَارَقْتُ وَطَنِي قَبْلَ شَهْرَيْنِ ، لَمَّا اشْتَدَّ الْحَرُّ
فِي هَذَا الصَّيْفِ ، تَكُونُ بَحَارُ : وَفَارَقَ الْبَحْرَ ، وَسَارَتْ
بِهِ الرِّيحُ إِلَى الْجِبَالِ ، وَهُوَ السَّحَابُ الْمُسَخَّرُ بَيْنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ فَلَمَّا جَاءَهُ الْأَمْرُ مِنَ اللَّهِ ، تَحَلَّلَ هَذَا الْبَحَارُ
بِالْحَرَارَةِ ، وَنَزَلَ قَطَرَاتٍ قَطَرَاتٍ عَلَى الْأَرْضِ ، وَقَالَ

النَّاسُ : الْمَطَرُ ، الْمَطَرُ ، وَأَنَا هُنَا ، فَأَعْرِفُونِي
لَعَلَّكُمْ رَأَيْتُمْ قِدْرًا عَلَى النَّارِ فِيهَا مَاءٌ ، فَإِذَا غَلَبَ
الْقِدْرُ ، تَصَاعَدَ مِنْهَا مِثْلُ دُخَانٍ ، وَهُوَ الْبَخَارُ ، وَ أَنَا
هُنَا ، فَأَعْرِفُونِي .

وَ إِذَا نَزَلَ الْمَطَرُ ، وَ جَمَدَتْ قَطَرَاتِي مِنَ الْبَرْدِ ،
وَ وَقَعَتْ عَلَى الْأَرْضِ مِثْلَ الزُّجَاجِ ، قَالَ النَّاسُ :
الْبَرْدُ ، الْبَرْدُ ، وَأَنَا هُنَا ، فَأَعْرِفُونِي .
وَ قَدْ أَسْقَطُ فِي الْجِبَالِ مِثْلَ الصُّوفِ الْأَبْيَضِ
الْلَّامِعِ ، وَ الْمَعُ فِي الشَّمْسِ مِثْلَ اللَّجَيْنِ ، فَيَكُونُ مَنْظَرًا
جَمِيلًا وَيَقُولُ النَّاسُ : الثَّلْجُ ، الثَّلْجُ ، وَأَنَا هُنَا ، فَأَعْرِفُونِي .
وَ قَدْ يَشْتَدُّ الْبَرْدُ فِي الشِّتَاءِ ، فَيَجْمَدُ مَا كَانَ مِنَ
الْمَاءِ ، وَيَقُولُ النَّاسُ : الْجَلِيدُ ، الْجَلِيدُ ، وَأَنَا هُنَا ، فَأَعْرِفُونِي ،
وَ إِذَا هَبَطْتُ مِنَ الْجِبَالِ إِلَى الْأَرْضِ ، وَ زَاخَمَتُنِي
صُخُورٌ أَوْ أَحْجَارٌ ، كَانَ شَلَالٌ يَكُونُ لَهُ صَوْتُ هَائِلٌ
وَ مَنْظَرٌ جَمِيلٌ ، وَأَنَا هُنَا ، فَأَعْرِفُونِي ،

وَ إِذَا اجْتَمَعَتْ شَلَالَاتٌ ، خَرَجَتْ مِنَ الْجِبَالِ ،
فَكُنْتُ نَهْرًا ، يَكُونُ فِي مَبْدِئِهِ صَغِيرًا ، ثُمَّ يَكُونُ

عَرِيضاً عَمِيقاً ، وَقَالَ النَّاسُ : نَهْرُ السَّنْدِ وَ نَهْرُ دِجْلَةَ ،
 وَ الْفُرَاتِ ، وَ النَّيْلِ ، وَأَنَا هُنَا ، فَأَعْرِفُونِي .
 وَلَعَلَّكَ رَأَيْتَ فِي الصَّبَاحِ أَيَّامَ الشِّتَاءِ مِثْلَ الدُّخَانِ ،
 وَيُسَمِّيهِ النَّاسُ الضَّبَابَ ، وَأَنَا هُنَا ، فَأَعْرِفُونِي .
 وَلَعَلَّكَ رَأَيْتَ قَطَرَاتٍ عَلَى أَوْرَاقِ الْأَشْجَارِ ، وَ عَلَى
 الْعُشْبِ وَ الْأَزْهَارِ ، فِي أَيَّامِ الشِّتَاءِ ، وَ يُسَمِّيهَا النَّاسُ
 الطَّلَّ وَ النَّدى ، وَأَنَا هُنَا ، فَأَعْرِفُونِي .
 وَقَدْ أَجْمَدُ بِالصَّنَاعَةِ فِي الْمَصَانِعِ ، وَ يَحْرُصُ عَلَى النَّاسِ
 أَيَّامَ الصَّيْفِ ، فَلَا يَشْرَبُونَ الْمَاءَ بغيرِ هَذَا الْجَمْدِ ، وَلَا
 يَزِدُّونَ إِلَّا بِهِ ، وَأَنَا هُنَا ، فَأَعْرِفُونِي .



٢٥ سَفِينَةٌ عَلَى الْبَرِّ



هَلْ سَمِعْتَ بِسَفِينَةٍ تَسِيرُ عَلَى الْبَرِّ ؟ وَهَلْ تُصَدِّقُ
 إِذَا أَخْبَرَكَ بِهِ أَحَدٌ ؟
 أَظُنُّكَ تَقُولُ - وَلَكَ الْحَقُّ - مَا سَمِعْنَا هَذَا فِي آبَائِنَا
 الْأَوَّلِينَ . وَلَكِنَّ مُحَمَّدًا الثَّانِيَ الْعُمَانِيَّ فَاتَحَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ ،
 سَيرَ سَبْعِينَ سَفِينَةً عَلَى الْبَرِّ .
 هَلْ تَعْرِفُ كَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

غَزَا الْعَرَبُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ الْعُظْمَى سِتِّ مَرَّاتٍ ، وَلَمْ
 يَفْتَحُوهَا ، وَقَدْ قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْفَتْحُ الْعَظِيمُ .

يَدِ شَابِّ مُسْلِمٍ مِّنْ آلِ عُثْمَانَ ، وَ هُوَ فِي الرَّابِعَةِ
وَالْعِشْرِينَ مِنْ عُمْرِهِ ، وَ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ
مَنْ يَشَاءُ .

زَحَفَ مُحَمَّدٌ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَ أَعَدَّ لِذَلِكَ عُدَّةً
عَظِيمَةً ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ .

فَكَانَ تَحْتَ قِيَادَتِهِ ثَلَاثُ مِائَةِ أَلْفٍ مُّقَاتِلٍ .
وَمَعَهُ مِدْفِعِيَّةٌ هَائِلَةٌ ، فِيهَا مِدْفَعٌ لَا يُوجَدُ فِي أَوْرَبَا
أَضْحَمَ مِنْهُ ، أَعَدَّهُ لِذَلِكَ ، مَرَمَاهُ أَكْثَرُ مِنْ مِيلٍ .
وَ كَانَ أَسْطُولُهُ مَرْكَبًا مِنْ مِائَةِ سَفِينَةٍ حَرْبِيَّةٍ .
وَ كَانَ مُحَمَّدٌ رَأَى أَنَّ الْعَدُوَّ قَدْ سَلَسَلَ خَلِيجَ
قَرْنِ الذَّهَبِ - وَهُوَ مَدْخَلُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ - بِالسَّلَاسِلِ ،
فَكَيْفَ يَعْبُرُهُ بِأَسْطُولِهِ ؟

فَكَّرَ مُحَمَّدٌ ، وَ لَمْ يَعْجَزْ وَ لَمْ يَنَاسْ ، وَ وَجَدَ
جِيلَةً ١

رَأَى أَنَّهُ يُمَكِّنُ الْعُبُورَ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ مِنْ جِهَةِ
قَاسِمٍ بَاشَا

وَالَكِنَّ هَذِهِ الْجِهَةُ بَعِيدَةٌ مِّنْ سُفْنِهِ ، فَمَنْ يَحْمِلُهَا
وَمَنْ يَنْقُلُهَا مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ إِلَى تِلْكَ الْجِهَةِ ، وَالْمَسَافَةُ
بَعِيدَةٌ ؟ .

فَكَرَّ مُحَمَّدٌ ، وَلَمْ يَعْجَزْ وَلَمْ يَأْسَ وَوَجَدَ حِيلَةً ،
طَلَى الْأَخْشَابَ بِالشَّحْمِ ، فَلَمَّا أَمْلَسَتْ أَرْزَقَ
عَلَيْهَا السُّفْنَ ، وَهِيَ سَبْعُونَ سَفِينَةً .

وَمَا رَاعَ أَهْلُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، إِلَّا وَسُفْنُ
الْمُسْلِمِينَ قَدْ أُرْسَتْ عَلَى سَاحِلِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَسَقَطَ
فِي أَيْدِيهِمْ .

وَهَكَذَا أَخَذَ مُحَمَّدٌ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ - عَاصِمَةَ الدَّوْلَةِ
الْبِزَنْطِيَّةِ - وَسَقَطَتْ عَاصِمَةُ النُّصْرَانِيَّةِ الْمَنِيعَةُ أَمَامَ
قَائِدِ مُسْلِمٍ شَابٍّ .

وَلَا تَزَالُ هَذِهِ الْمَدِينَةُ الْعَظِيمَةُ ، وَتَرْكِيَا ، فِي
يَدِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ سَنَةِ ٥٨٥٣ - يَوْمَ فَتَحَهَا مُحَمَّدُ بْنُ
مُرَادٍ - إِلَى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا .

(وَلِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ)

٢٦) الْخَلِيفَةُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

— ١ —

وُلِدَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ سَنَةَ ٥٦١. وَأُمُّهُ أُمُّ عَاصِمٍ
بِنْتُ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَهُوَ
صَغِيرٌ، وَبَعَثَهُ أَبُوهُ إِلَى الْمَدِينَةِ يَتَأَدَّبُ بِهَا، وَكَانَ
يَأْتِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ كَثِيرًا، لِمَكَانِ أُمِّهِ مِنْهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ
إِلَى أُمِّهِ، فَيَقُولُ: يَا أُمَّة! أَنَا أَحَبُّ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ خَالِي.
وَكَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي شَبَابِهِ مُتَعَمِّمًا، يَكْثُرُ مِنَ
الطَّبِّ، حَتَّى تُوْجَدَ رَائِحَتُهُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَمُرُّ بِهِ،
وَيَمْشِي مِشْيَةً تُسَمَّى «الْعُمَرِيَّةَ»، كَانَ الْجَوَارِي يَتَعَلَّمْنَ مِنْ
حُسْنِهَا، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى هَذَا التَّعَمُّمِ، حَتَّى وَلِيَ الْخِلَافَةَ،
فَزَهَّدَ فِي الدُّنْيَا وَرَفَضَهَا.

وَكَانَ فِي شَبَابِهِ، وَوَلَايَتِهِ لِلْمَدِينَةِ، كَثِيرُ التَّعْظِيمِ
لِلْعُلَمَاءِ، شَدِيدَ الْأَعْظَامِ لِمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، خَاشِعًا مُتَدَيِّنًا.
وَعَهْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ
وَعُمُرُ لَا يَعْلَمُ، فَلَمَّا عَلِمَ فَرَعَ.

وَقَالَ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ مَا سَأَلْتُ اللَّهَ قَطُّ،
وَقَدَّمَ إِلَيْهِ صَاحِبُ الْمَرَائِبِ مَرْكَبَ الْخَلِيفَةِ فَأَبَى
وَقَالَ: إِيْتُونِي يَبْغُلِي، وَرَدَّ الْمَرَائِبِ، وَالسُّرَادِقَاتِ
وَالْفُرُشَ، وَالْأَذْهَانَ، وَالثِّبَابَ الْخَاصَّةَ بِالْخَلِيفَةِ،
إِلَى نَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ .

وَجَلَسَ لِلنَّاسِ بَعْدَ ثَلَاثٍ، وَحَمَلَهُمْ عَلَى
الشَّرِيعَةِ، وَرَدَّ الْمَظَالِمَ، وَأَخْبَى الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَسَارَ
بِالْعَدْلِ، وَرَفَضَ الدُّنْيَا، وَزَهَّدَ فِيهَا، وَنَهَى عَنِ الْقِيَامِ،
وَأَبْتَدَأَ بِالسَّلَامِ، وَتَرَكَ أَلْوَانَ الطَّعَامِ، وَتَرَكَ أَنْ يُخْدَمَ .

كَانَ عِنْدَهُ قَوْمٌ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَقَامَ إِلَى السَّرَاجِ
فَأَصْلَحَهُ، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَكْفِيكَ، قَالَ: وَمَا ضُرُّنِي؟
قُتُّ وَ أَنَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَ رَجَعْتُ وَ أَنَا عُمَرُ
ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ .

وَأَتَى ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْفَيِّءِ بَعْثَرَةٌ، فَأَخَذَ يَدَهُ
فَمَسَحَهَا، ثُمَّ أَمَرَهَا فَرَفَعَتْ حَتَّى تُبَاعَ، ثُمَّ أَمَرَ يَدَهُ عَلَى
أَنْفِهِ، فَوَجَدَ رِيحَهَا، فَدَعَا بِوَضُوءٍ فَوَضَّأَ .

وَكَانَ لَهُ غَلَامٌ يَأْتِيهِ بِقُنُقٍ مِّنْ مَّاءٍ مُّسَخَّنٍ يَتَوَضَّأُ مِنْهُ، فَقَالَ لِلْغَلَامِ يَوْمًا: أَسَخَّنُ الْمَاءَ فِي مَطْبَخِ الْمُسْلِمِينَ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ قَالَ: أَفَسَدْتُهُ عَلَيْنَا، ثُمَّ حَاسَبَ تِلْكَ الْأَيَّامَ، وَأَدْخَلَ الْحُطْبَ فِي الْمَطْبَخِ، وَ أَبْطَأَ يَوْمًا عَنِ الْجُمُعَةِ قَلِيلًا فَعُرِفَ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنَّمَا أَنْتَظَرْتُ قَيْصِي غَسَلَهُ أَنْ يَجِفَّ .
 قَالَ أَزْهَرُ: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَخْطُبُ النَّاسَ وَعَلَيْهِ قَيْصٌ مَّرْقُوعٌ .

٢٧) الْخَلِيفَةُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ

—(٢)—

وَلَمْ يُخْذِ عُمَرُ مِنْذُ وَلِي دَابَّةً وَلَا امْرَأَةً وَلَا جَارِيَةً حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ، وَلَمْ يَرْضَاحًا مِنْذُ وَلِي الْخِلَافَةَ حَتَّى لَقِيَ اللَّهَ .

وَأَتَتْهُ سَلْتَا رُطْبٍ مِّنَ الْأَرْدُنِّ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: رُطْبٌ مِّنَ الْأَرْدُنِّ، قَالَ: عَلَامَ جِئْتُمَا بِهِ؟ قَالُوا: عَلَى دَوَابِّ الْبَرِيدِ، قَالَ: فَمَا جَعَلَنِي اللَّهُ أَحَقَّ بِدَوَابِّ

الْبَرِيدِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، أَخْرَجُوهُمَا فَبِعُوهُمَا ، وَاجْعَلُوا
ثَمَنَهُمَا فِي عِلْفِ دَوَابِّ الْبَرِيدِ ، وَاشْتَرَاهُمَا فِي السُّوقِ
ابْنُ أَخِيهِ وَاهْدَى إِحْدَاهُمَا إِلَيْهِ ، فَأَكَلَ وَ قَالَ :
الْآنَ طَابَ أَكْلُهُ .

وَدَخَلَ عَلَى بَنَاتِهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَوَضَعَ أَيْدِيَهُنَّ
عَلَى أَفْوَاهِهِنَّ ، فَقَالَ لِلْحَاضِنَةِ : مَا شَأْنُهُنَّ ؟ قَالَتْ :
لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُنَّ شَيْءٌ يَتَعَشَّيْنَهُ إِلَّا عَدَسٌ وَ بَصَلٌ ،
فَكَرِهْنَ أَنْ تَشَمَّ ذَلِكَ مِنْ أَفْوَاهِهِنَّ ، فَبَكَى عُمَرُ ، ثُمَّ
قَالَ لَهُنَّ : يَا بَنَاتِي مَا يَنْفَعُكُنَّ أَبَ تَعَشِينَ الْأَلْوَانَ
وَيَمُرُّ بِأَيْبِكُنَّ إِلَى النَّارِ ، فَبَكَيْنَ حَتَّى عَلَتْ أَصْوَاتُهُنَّ ،
وَوَضَعَ عُمَرُ حُلِيَّ زَوْجَتِهِ فِي بَيْتِ الْمَالِ ، وَ أَرْجَعَ
مَزَارِعَهُ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي عَهْدِ الرَّسُولِ ﷺ .

وَ إِذَا كَانَ فِي حَوَائِجِ الْعَامَّةِ كَتَبَ عَلَى السَّمْعِ ،
وَ إِذَا صَارَ إِلَى حَاجَةٍ نَفْسِهِ دَعَا بِسِرَاجِهِ .

وَقَدْ أَغْنَى عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ النَّاسَ ، حَتَّى لَمْ يُوجَدْ
فَقِيرٌ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَمْ يُوْجَدْ أَحَدٌ يَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ .
وَكَانَ لَا يُؤَخِّرُ عَمَلَ الْيَوْمِ لِلْغَدِّ ، وَلَا يَعْجِزُ ، قَالَ

بِمَضْ إِخْوَتِهِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! لَوْ رَكِبْتَ قَتَرَوَحْتَ ، قَالَ :
 فَمَنْ يَقْضِي شُغْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ ؟ قَالَ : تَقْضِيهِ مِنَ الْغَدِ ،
 قَالَ : لَقَدْ ثَقُلَ عَمَلُ يَوْمٍ وَاحِدٍ فَكَيْفَ إِذَا اجْتَمَعَ عَمَلُ
 يَوْمَيْنِ ؟

مَاتَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ سَنَةَ ١٠١ هـ

(٢٨) فِي بَيْتِ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

قَالَ سَيِّدُنَا أَبُو أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

«لَمَّا نَزَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِي نَزَلَ فِي السُّفْلِ ،
 وَأَنَا وَ أُمُّ أَيُّوبَ فِي الْعُلُوِّ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ،
 يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، إِنِّي لَا كُرَهُ وَأَعْظَمُ أَنْ أَكُونَ فَوْقَكَ
 وَ تَكُونَ تَحْتِي ، فَأَظْهَرَ أَنْتَ فَكُنْ فِي الْعُلُوِّ ، وَ نَزِلُ
 نَحْنُ فَتَكُونُ فِي السُّفْلِ ، فَقَالَ : يَا أَبَا أَيُّوبَ ، إِنْ أَرَفَقَ
 بِنَا وَبِمَنْ يَغْشَاَنَا أَنْ لَكُونُ فِي سُفْلِ الْبَيْتِ .

قَالَ : فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ — فِي سُفْلِهِ وَكُنَّا
 قُرُوقَهُ فِي الْمُسْكَنِ ، فَلَقَدْ انْكَسَرَ حُبُّ لَنَا فِيهِ مَاءٌ ، فَقُمْتُ

أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ بِعَظِيمَةٍ لَنَا ، مَا لَنَا لِحَافٍ غَيْرُهَا ، نَنْشِفُ بِهَا
 الْمَاءَ نَخْوَفَا أَنْ يَقْطُرَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْهُ شَيْءٌ فَيُؤْذِيهِ .
 قَالَ : وَكُنَّا نَضَعُ لَهُ الْعِشَاءَ ، ثُمَّ نَبْعَثُ بِهِ إِلَيْهِ ،
 فَإِذَا رَدَّ عَلَيْنَا فَضْلَهُ تَيَمَّمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ مَوْضِعَ يَدِهِ
 فَأَكَلْنَا مِنْهُ نَبْتَغِي بِذَلِكَ الْبَرَكَهَ حَتَّى بَعَثْنَا إِلَيْهِ لَيْلَةً
 بِعِشَائِهِ ، وَقَدْ جَعَلْنَا لَهُ فِيهِ بَصَلًا أَوْ ثُومًا ، فَرَدَّهُ
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَلَمْ أَرِ لِيَدِهِ فِيهِ أَثَرًا ، قَالَ : لِحِشَّتِهِ
 فَرِغَا ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، بَأْسَى أَنْتَ وَأُمِّي ، رَدَدْتَ
 عِشَاءَكَ ، وَلَمْ أَرِ فِيهِ مَوْضِعَ يَدِكَ ، وَ كُنْتُ إِذَا
 رَدَدْتُهُ عَلَيْنَا تَيَمَّمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ مَوْضِعَ يَدِكَ ، نَبْتَغِي
 بِذَلِكَ الْبَرَكَهَ .

قَالَ : إِنِّي وَجَدْتُ فِيهِ رِيحُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، وَ أَنَا
 رَجُلٌ أَنَاجِي ، فَأَمَّا أَنْتُمْ فَكُلُّوهُ .
 قَالَ : فَأَكَلْنَاهُ ، وَلَمْ نَضَعْ لَهُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ
 بَعْدُ .

(سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ)



٢٩) الْأَمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ

وُلِدَ الْإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَ تَسْعِينَ
فِي الْمَدِينَةِ الْمُتَوَرَّةِ ، وَ سَمِعَ الزُّهْرِيَّ وَ نَافِعًا مَوْلَى ابْنِ
عُمَرَ ، وَ أَخَذَ الْعِلْمَ عَنْ رِبْعَةَ الرَّائِي ، وَقَالَ : قَلَّ رَجُلٌ
كُنْتُ أَتَعَلَّمُ مِنْهُ مَا مَاتَ حَتَّى نَمُوتَنِي وَ يَسْتَفْتِيَنِي .

وَكَانَ لَهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ فِي الْعِلْمِ بِرَحْلِ النَّاسِ إِلَيْهِ
مِنَ الْأَفَاقِ ، وَ يَزْدَحْمُونَ عَلَى بَابِهِ لِأَخْذِ الْحَدِيثِ
وَ الْفِقْهِ كَأَزْدِحَامِهِمْ عَلَى بَابِ السُّلْطَانِ ، وَكَانَ النَّاسُ
يَفْتَحِرُونَ بِالرَّوَايَةِ عَنْهُ ، وَكَانَ ذَلِكَ شَرَفًا كَبِيرًا فِي
عَصْرِهِ ، فَإِذَا قَالَ أَحَدٌ : حَدَّثَنِي مَالِكٌ ، رَفَعَ النَّاسُ
إِلَيْهِ أَبْصَارَهُمْ .

وَكَانَ إِلَيْهِ الْمُنْتَهَى فِي الْفِقْهِ وَ الْفَتْوَى . قَالَ ابْنُ
وَهْبٍ : سَمِعْتُ مُنَادِيًا يُنَادِي بِالْمَدِينَةِ : أَلَا ، لَا يُفْتَى النَّاسُ إِلَّا
بِمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ ، وَابْنُ أَبِي ذَنْبٍ ، وَ مِنْ الْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ :
لَا يُفْتَى وَ مَالِكٌ فِي الْمَدِينَةِ .

وَكَانَ كَثِيرَ الْأَدَبِ ، شَدِيدَ التَّعْظِيمِ لِحَدِيثِ رَسُولِ

اللَّهُ ﷺ ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يُحَدِّثَ اغْتَسَلَ وَ تَطَيَّبَ وَلَيْسَ
 ثِيَابًا جَدَدًا ، وَ تَعَمَّمَ وَقَعَدَ بِخُشُوعٍ وَ خُضُوعٍ وَ وَقَارٍ ،
 وَ تَبَخَّرَ بِالْعُودِ مِنْ أَوَّلِهِ فَلَا يَزَالُ يَتَبَخَّرُ إِلَى فَرَاغِهِ ،
 وَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : أَحَبُّ أَنْ أُعْظِمَ حَدِيثَ
 رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَا أُحَدِّثَ بِهِ إِلَّا مَتَمِّنًا عَلَى طَهَارَةٍ ،
 وَكَانَ يَكْرَهُ أَنْ يُحَدِّثَ عَلَى الطَّرِيقِ ، أَوْ مُسْتَعْجِلًا ،
 وَيَقُولُ : أَحَبُّ أَنْ أَتَقَهُمَ مَا أُحَدِّثُ بِهِ عَنْ رَسُولِ
 اللَّهِ ﷺ .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ مُبَارَكٍ : كُنْتُ عِنْدَ مَالِكٍ ، وَهُوَ
 يُحَدِّثُنَا ، فَلَدَعْتُهُ عَقْرَبُ سِتِّ عَشْرَةَ مَرَّةً ، وَمَالِكٌ
 يَتَغَيَّرُ لَوْنُهُ ، وَلَا يَقْطَعُ الْحَدِيثَ ، فَلَمَّا تَفَرَّقَ النَّاسُ
 قَالَ : إِنَّمَا صَبَرْتُ إِجْلَالًا لِلْحَدِيثِ .

وَكَانَ لَا يَرْكَبُ فِي الْمَدِينَةِ عَلَى ضَعْفِهِ وَكِبَرِ سِنِّهِ ،
 وَ يَقُولُ : لَا أَرْكَبُ فِي مَدِينَةٍ فِيهَا جُثَّةُ رَسُولِ اللَّهِ
 ﷺ مَذْفُونَةٌ .

وَكَانَ مَجْلِسُهُ مَجْلِسَ وَقَارٍ وَحِلْمٍ ، وَكَانَ رَجُلًا
 مَهِيئًا نَبِيلًا ، لَيْسَ فِي مَجْلِسِهِ شَيْءٌ مِنَ الْمَرَاءِ وَاللَّغَطِ ،

وَلَا رَفْعُ صَوْتٍ ، وَكَانَ الْغُرَبَاءُ يَسْأَلُونَهُ عَنِ الْحَدِيثِ
فَلَا يُجِيبُ إِلَّا فِي الْحَدِيثِ بَعْدَ الْحَدِيثِ .

سَأَلَ هَارُونُ الرَّشِيدُ مَالِكًا أَنْ يَأْتِيَنِي فَأَتَيْتِي ، فَأَتَيْتِي
هَارُونُ مَالِكًا ، وَهُوَ فِي مَنْزِلِهِ ، وَمَعَهُ بَنُوهُ ، وَسَأَلَ أَنْ
يَقْرَأَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ : مَا فَرَأْتُ عَلَى أَحَدٍ مُنْذُ زَمَانٍ ،
وَإِنَّمَا يَقْرَأُ عَلَى ، فَقَالَ هَارُونُ : أَخْرِجِ النَّاسَ حَتَّى
أَقْرَأَ أَنَا عَلَيْكَ ، فَقَالَ : إِذَا مَنَعَ الْعَامُّ لِبَعْضِ الْخَاصِّ
لَمْ يَنْتَفِعِ الْخَاصُّ .

وَدَخَلَ مَالِكٌ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَنصُورٍ ، وَهُوَ عَلَى
فِرَاشِهِ إِذْ جَاءَ صَبِيٌّ يَخْرُجُ ثُمَّ يَرْجِعُ ، فَقَالَ لِي : أَتَدْرِي
مَنْ هَذَا ؟ فَقُلْتُ : لَا ، قَالَ : ابْنِي ، وَإِنَّمَا يَفْرَعُ مِنْ هَيْبَتِكَ .
وَفِي سَنَةِ سَبْعٍ وَ أَرْبَعِينَ وَ مِائَةٍ ضَرَبَ مَالِكٌ
سَبْعِينَ سَوْطًا لِأَجْلِ قَتْوِي لَمْ تُوَافِقْ غَرَضَ السُّلْطَانِ ،
فَغَضِبَ وَدَعَا بِهِ ، وَجَرَدَهُ وَضَرَبَهُ بِالسَّيَاطِ ، وَمُدَّتْ
يَدُهُ حَتَّى انْخَلَعَتْ كَتِفُهُ ، فَلَمْ يَزَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الضَّرْبِ فِي
عُلُوٍّ وَ رِفْعَةٍ ، وَكَأَنَّمَا كَانَتْ تِلْكَ السَّيَاطُ حَلِيًّا حُلًى بِهِ .
وَ كِتَابُهُ الْمُؤَطَّأُ مِنْ أَشْهَرِ كُتُبِ الْحَدِيثِ ، وَمِنْ

الْكُتُبِ الْمَقْبُولَةِ فِي الْإِسْلَامِ ، رَزَقَكَ اللَّهُ قِرَاءَتَهُ ،
وَالْإِسْتِفَاعَ بِهِ ، وَسَيَكُونُ ذَلِكَ (إِنْ شَاءَ اللَّهُ) فِي بَضْعِ
سِنِينَ إِذَا تَقَدَّمْتَ فِي الْعِلْمِ .
تُوفِّي مَالِكٌ سِتَّةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةً .

٣. الْقَاطِرَةُ

—(١)—



ذَهَبَ رَشِيدٌ مَعَ أَبِيهِ سَعِيدٍ إِلَى الْمَحْطَةِ يَسْتَقْبِلُ
أَخَاهُ مُحَمَّدًا ، وَكَانَ قَادِمًا مِنْ دِيُونَنْدٍ فِي مَسَاحَةِ
عَيْنِ الْأَصْحَى .

وَكَانَ الْقِطَارُ مُتَأَخِّرًا ، فَأَخَذَ سَعِيدٌ يَتَجَوَّلُ عَلَى
الْمُحْطَةِ يُحَدِّثُ رَشِيدًا عَنِ الْقِطَارِ وَنِظَامِ الْمَحْطَةِ ، وَانْتَقَلَ
مَعَهُ إِلَى رَصِيفٍ آخَرَ .

وَكَانَ قِطَارٌ وَاقِفًا هُنَا تَصْفِرُ قَاطِرَتُهُ ، وَيَخْرُجُ
مِنْهَا بَخَارٌ كَثِيفٌ مُتَصَاعِدٌ

قَالَ رَشِيدٌ : حَدَّثَنِي الْيَوْمَ يَا أُنَى ! عَنِ الْقَاطِرَةِ
كَيْفَ تَجْرُ الْقِطَارَ ، وَكَيْفَ تُسْرِعُ فِي السَّيْرِ ؟
قَالَ سَعِيدٌ : لَقَدْ سَأَلْتُ بِهِ خَيْرًا فَقَدْ كُنْتُ مُوظَّفًا
فِي الْقِطَارِ ، وَسَأَحَدُّثُكَ عَنْهَا فِي تَفْصِيلٍ ، فَقُمْ بِجَانِبِي
أَمَامَ هَذِهِ الْقَاطِرَةِ وَلَا حِظًّا .

أَنْظُرْ يَا رَشِيدُ ! إِلَى الْقَاطِرَةِ تَرَاهَا صُنِعَتْ مِنَ الْحَدِيدِ
وَلَهَا سِتُّ عَجَلَاتٍ تَسِيرُ عَلَيْهَا وَهِيَ قَوِيَّةٌ جِدًّا كَأَنَّهَا عَفْرِيتُ
مِّنَ الْجِنِّ ، تَجْرُ قِطَارَ الْبِضَاعَةِ ، وَهُوَ طَوِيلٌ وَثَقِيلٌ جِدًّا ،
وَتَحْرُ قِطَارَ الرُّكَّابِ وَفِيهِ النَّاسُ وَ أَثْقَالُهُمْ ، وَتَجْرُ
الْقِطَارَ السَّبَّاقَ ، وَهُوَ أَسْرَعُ الْقَطْرِ يَقْطَعُ خَمْسَةَ
وَ أَرْبَعِينَ مِيلًا فِي السَّاعَةِ .

وَ الْقِطَارُ السَّرِيعُ يَقْطَعُ نَحْوَ أَرْبَعِينَ مِيلًا فِي

السَّاعَةِ ، وَ الْقِطَارُ الْوَقَافُ يَقْطَعُ نَحْوَ ثَلَاثَيْنِ مِيلًا فِي
السَّاعَةِ ، تَجْرُ الْقِطَارُ مِنْ أَقْصَى الْهِنْدِ إِلَى أَقْصَاهَا ، مَثَلًا
مِنْ بَمْبَيِّ إِلَى بِشَاوَرِ ، وَمِنْ دِهْلِي إِلَى مَدْرَاسِ .
وَقُوَّةُ هَذِهِ الْقَاطِرَةِ إِنَّمَا هِيَ الْبُخَارُ الْحَقِيقُ الَّذِي
لَا تَعْبَأُ بِهِ ، وَلَا تُحَاسِبُ لَهُ حِسَابًا ، وَقَدْ اهْتَدَى «اسْتِيفَنْس»
مُخْتَرِعُ الْقِطَارِ إِلَى قُوَّةِ هَذَا الْبُخَارِ ، وَاهْتَدَى إِلَى تَسْخِيرِهِ
وَ الْإِتِّفَاعِ بِهِ فِي الْأَغْرَاضِ ، وَعَلِمَ بِعَقْلِهِ وَدِرَاسَتِهِ أَنَّهُ
بِقُوَّتِهِ يَحْمِلُ الْأَثْقَالَ ، وَيَنْقُلُ الْجِبَالَ ، وَيَأْتِي بِالْعَجَائِبِ .
وَذَلِكَ هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَ الْجَاهِلِ وَالْعَالِمِ ، وَ بَيْنَ
الْعَامِيِّ وَالْمُكْتَشِفِ ، يَرَى الْأَوَّلُ كُلَّ شَيْءٍ فَلَا يَرْفَعُ بِهِ
رَأْسًا ، وَلَا يُلْقِي عَلَيْهِ بَالًا ، وَيَرَاهُ الثَّانِي فَيَعْرِفُ قِيَمَتَهُ
وَيَجْتَهِدُ فِيهِ ، حَتَّى يَسْخَرَهُ لِعَرَضِهِ .

(٣) الْقَاطِرَةُ

—(٢)—

أَنْظُرْ بَارِشِيدُ ! إِلَى هَذَا الْمُوقِدِ فِي الْقَاطِرَةِ ، يُلْقَى
فِيهِ الرَّجُلُ الْفَحْمَ الْحَجَرِيَّ ، وَفَوْقَ هَذَا الْمُوقِدِ حَوْضٌ
مِنْ مَاءٍ مَتَيْنٌ جِدًّا وَفِيهِ أَنْيَبُ عَدِيدَةٌ يَسْخَنُ هَذَا الْمَاءُ

بِالنَّارِ وَ يَتَحَوَّلُ بُخَارًا ، وَيَتَقَلُّ هَذَا الْبَخَارُ إِلَى الْأَنْبَابِ
وَتَعَالَ مَعِيَ نَدْخُلُ فِي الْقَاطِرَةِ ، فَإِنَّ سَائِقَهَا مِنْ
أَصْدِقَائِي . وَهَذَا تَقْصِيرُ تَرْكِيبِ الْقَاطِرَةِ جَدًّا .

أُنْظُرْ إِلَى الْأَنْبَابِ ، إِنَّهَا مُتَّصِلَةٌ بِهَذِهِ الْأَلَاتِ
الدَّقِيقَةِ الَّتِي تُدِيرُ عَجَلَاتِ الْقَاطِرَةِ ، فَإِذَا اجْتَمَعَ هَذَا
الْبَخَارُ فِي الْأَنْبَابِ دَفَعَ بِقُوَّتِهِ الْأَلَاتِ ، فَأَدَارَهَا
وَ يَدَوَّرُ بِهَا تَدَوُّرُ الْعَجَلَاتِ ، وَتَسِيرُ الْقَاطِرَةُ .

وَهَذَا هُوَ الْوَقَادُ الَّذِي يَرِاقِبُ النَّارَ وَ الْمَاءَ .
وَيُشْرِفُ عَلَيْهِمَا . وَهَذَا صَدِيقُنَا السَّائِقُ ، وَإِذَا كَانَتْ
الْقَاطِرَةُ تَجْرُ الْقِطَارَ ، وَ تُوَصِّلُ الرُّكَّابَ مِنْ دِيَارٍ إِلَى
دِيَارٍ ، فَصَاحِبُنَا يَسُوقُ الْقَاطِرَةَ ، فَهُوَ مِفْتَاحُ الْقِطَارِ ، وَإِلَيْهِ
يَرْجِعُ الْفَضْلُ فِي سَيْرِ الْقِطَارِ وَهُوَ يَسْهَرُ عَلَى عَمَلِهِ ،
وَيَقُومُ بِوَاجِبِهِ بِأَمَانَةٍ وَجَدِّ ، وَكَذَلِكَ أَمِينُ الْقِطَارِ
يَسْتَحِقُّ الشُّكْرَ مِنَ الرُّكَّابِ ، فَإِنَّهُ يُلَاحِظُ الطَّرِيقَ وَيَلْحَظُ
وُقُوفَ الْقِطَارِ وَسَيْرَهُ ، وَ السَّائِقُ وَ الْقَاطِرَةُ طَوَّعُ
إِشَارَتِهِ ، فَإِذَا هَزَّ الْبَيْرَقَ الْأَخْضَرَ وَقَفَ الْقِطَارُ ، وَإِذَا هَزَّ
الْبَيْرَقَ الْأَخْضَرَ تَحَرَّكَ الْقِطَارُ .

وَأَنْظُرْ إِلَى هَذِهِ آلَاةِ الَّتِي فِي يَدِ السَّائِقِ هَذِهِ ... فَإِذَا
رَفَعَهَا السَّائِقُ إِلَى فَوْقَ، أُنْدَفَعَ الْبُخَارُ وَمَارَتِ الْقَاطِرَةُ،
وَإِذَا ضَغَطَ عَلَيْهَا سَكَنَ الْبُخَارُ وَهَدَّاتِ الْقَاطِرَةُ، حِينَئِذٍ
يَضْغَطُ السَّائِقُ عَلَى آلَةٍ أُخْرَى، وَهِيَ هَذِهِ وَتُسَمَّى الْمِصْدَ،
وَتَقِفُ الْقَاطِرَةُ مِنْ سَاعَتِهَا، وَ الْعَرَبَاتُ كُلُّهَا مُرْكَبَةٌ
بِالْقَاطِرَةِ تَسِيرُ بِسَيْرِهَا، وَتَقِفُ بِوُقُوفِهَا .

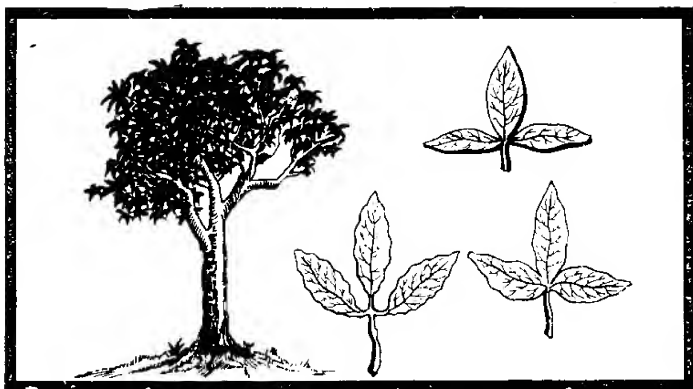
وَهَذَا هُوَ الْخَطُّ الْحَدِيدِيُّ الَّذِي يَسِيرُ عَلَيْهِ الْقِطَارُ،
وَلَوْلَاهُ لَفَاصَ الْقِطَارُ فِي الْأَرْضِ، لِأَنَّ التُّرْبَةَ
لَا تَحْمِلُ ثِقَلَ الْقِطَارِ .

هَذِهِ هِيَ الْقَاطِرَةُ الَّتِي تَجْرُ الْقِطَارَ، وَهَذَا هُوَ الْقِطَارُ الَّذِي
يُوصِلُ الرُّكَّابَ مِنْ دِيَارٍ إِلَى دِيَارٍ، وَيَحْمِلُ أَثْقَالَ النَّاسِ
إِلَى بَلَدٍ لَمْ يَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ

أَنْظُرْ يَا رَشِيدُ، كَيْفَ أَلْهِمَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ الْحِكْمَةَ
وَالصَّنَاعَةَ، وَ رَزَقَهُ الْعَقْلَ الَّذِي يُسَخِّرُ بِهِ الْحَدِيدَ
وَالْبُخَارَ، أَفَلَا يَحَقُّ لَكَ أَنْ تَقُولَ إِذَا رَكِبْتَ الْقِطَارَ :
« سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ،
وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ، .

٣٣ جِسْمُ النَّبَاتِ

—(١)—



كَانَ أَمَامَ يَتِّ عَبَّاسٍ حَدِيقَةٌ فِيهَا أَنْوَاعُ الشَّجَرِ
وَالنَّبَاتِ ، قَالَ لَهُ أَبُوهُ عُمَرُ مَرَّةً فِي يَوْمٍ عَظَلَةٍ : هَلْ
رَأَيْتَ يَا عَبَّاسُ ! حَدِيقَةَ الدَّارِ ؟ .

قَالَ عَبَّاسٌ : كَيْفَ لَا يَا أُنَى ! وَهِيَ حَدِيقَةُ دَارِنَا ، أَلْعَبُ
فِيهَا كُلَّ يَوْمٍ وَأَتَرَدَّدُ إِلَيْهَا صَبَاحَ مَسَاءٍ .

قَالَ عُمَرُ : مَا أَظْنُكَ رَأَيْتَهَا ! فَتَعَالَ مَعِيَ نَتَمَشَّ
فِي الْحَدِيقَةِ وَنَدْرُسُ النَّبَاتَ ، فَإِنَّهُ مِنْ عَجَائِبِ خَلْقِ اللَّهِ ،
وَكِتَابٌ يَجِبُ أَنْ تُطَالِعَهُ .

خَرَجَ عُمَرُ وَ عَبَّاسٌ إِلَى الْحَدِيقَةِ ، فَرَأَى عَبَّاسٌ

الْبُسْتَانِ يُصْلِحُ قِطْعَةً مِّنَ الْأَرْضِ ، وَ يُنَحِّي الْحَجَرِ
وَالْخَزَفَ ، وَيَقْلَعُ الْحَشَائِشَ وَالْأَعْشَابَ ، فَسَأَلَ عَبَّاسٌ
أَبَاهُ عَنْ ذَلِكَ .

قَالَ عُمَرُ : الرَّجُلُ يُصْلِحُ الْأَرْضَ وَيُهَيِّئُهَا لِلْعَرْسِ الْأَشْجَارِ ،
فَإِذَا بَقِيَتِ الْأَحْجَارُ وَالْخَزَفُ لَمْ يَثْبِتِ الْفَسِيلُ فِي
الْأَرْضِ ، وَلَمْ تَمْتَدَّ جُدُورُهُ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ ، وَ إِذَا
تَرَكْتَ هَذِهِ الْحَشَائِشَ الشَّيْطَانِيَّةَ امْتَصَّتْ غِذَاءَ الْفَسِيلِ
وَذَوَى الْفَسِيلِ ، وَالْبُسْتَانِ النَّاصِحُ الْمُجْتَهِدُ يَحْرُثُ الْأَرْضَ
كَمَا يَحْرُثُ الْفَلَّاحُ الْحَقْلَ ، وَيُلْقِي فِيهَا السَّمَادَ وَيَسْقِيهَا
كُلَّ يَوْمٍ ، حَتَّى تُصْبِحَ الْأَرْضُ رِخْوَةً كَرِيمَةً ، تَقْبَلُ كُلَّ
مَا يُلْقَى فِيهَا .

ثُمَّ يَغْرِسُ الْفَسَائِلَ فِي مَكَانٍ تَصِلُ إِلَيْهِ الشَّمْسُ
كُلَّ يَوْمٍ .

هَذَا قَاطَعُهُ عَبَّاسٌ وَقَالَ : وَهَلْ يَحْتَاجُ النَّاتُ
أَيْضًا إِلَى الشَّمْسِ ؟

قَالَ عُمَرُ : نَعَمْ ! يَا عَبَّاسُ ! فَالْنَّبَاتُ جِسْمٌ حَتَّى نَامَ
يَحْتَاجُ إِلَى الشَّمْسِ وَالْهَوَاءِ وَالْمَاءِ .

وَاسْتَمَرَ عُمَرُ فِي حَدِيثِهِ ، ثُمَّ يَغْرِسُ الْفَسَائِلَ فِي
صَفٍّ وَ يَتْرُكُ بَيْنَ فَيْسِلَيْنِ فُسْحَةً يُمْكِنُ لِكُلِّ وَاحِدٍ
مِنْهُمَا أَنْ يَمْتَدَّ فِيهَا ، وَلَا يُضَاقُ بَعْضُهَا بَعْضًا .
وَيَحْسُنُ أَنْ تَكُونَ الْفَسَائِلُ أَرْبَابًا فِي سِنٍّ وَاحِدَةٍ ،
وَ إِذَا كَانَتْ ذَاتَ أَزْهَارٍ فَلَا زَهَارَهَا مِيعَادٌ وَاحِدٌ ،
لِيَمَّ جَمَالُ كُلِّ صَفٍّ مِّنْ صُفُوفِهَا .

وَلَا يَسْتَرْجِعُ الْبُسْتَانِيُّ بَعْدَ ذَلِكَ ، بَلْ يَسْهَرُ عَلَى
هَذَا الْفَسَائِلِ ، فَلَا يَزَالُ يَسْقِيهَا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ كُلَّ يَوْمٍ ،
وَ يَقْلَعُ الْحَشَائِشَ ، وَيَعْرِقُ الْأَرْضَ حَوْلَهَا ، فَيَجْعَلُ
بَاطِنَهَا ظَاهِرَهَا .

هَنَا فَرَغَ الْبُسْتَانِيُّ مِنْ إِصْلَاحِ الْأَرْضِ وَ ذَهَبَ
يَنْقُلُ فَيْسِلًا ، فَتَبِعَهُ عُمَرُ وَ عَبَّاسٌ ، وَوَقَفَا بِجَانِبِهِ .



(٣٣) جِسْمُ النَّبَاتِ

—(١)—

حَفَرَ البُسْتَانِيُّ الْأَرْضَ حَوْلَ الْفَيْسِلِ بِاخْتِرَاسٍ ،
كَأَنَّهُ يَخَافُ شَيْئًا ، فَسَأَلَ عَبَّاسٌ وَالِدَهُ عَنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ :
لِمَذَا يَتَوَانَى البُسْتَانِيُّ فِي شُغْلِهِ ، وَلَا يُعَجِّلُ ؟

قَالَ عُمَرُ : هُوَ يَخَافُ أَنْ يَقْطَعَ بَعْضُ الْجُدُورِ
فَيَضُرَّ بِالْفَيْسِلِ ، وَرُبَّمَا يَمُوتُ ، لِأَنَّ الْجُدُورَ لَازِمَةٌ
لِلشَّجَرَةِ وَبِهَا حَيَاتُهَا .

قَالَ عَبَّاسٌ : وَمَا فَائِدَةُ الْجُدُورِ وَمَا شُغْلُهَا حَتَّى
لَا تَحْتِمَا الشَّجَرَةَ بِغَيْرِهَا .

قَالَ عُمَرُ : النَّبَاتُ إِنَّمَا يَثْبُتُ فِي الْأَرْضِ بِالْجُدُورِ
فَهِيَ الَّتِي تَمْتَصُّ الْغِذَاءَ مِنَ الْأَرْضِ ، وَتَبْحَثُ عَنْهُ ،
أَلَا تَرَاهَا مُتَمَدِّدَةً مُتَشَعِّبَةً فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ ، كَأَنَّهَا
جَوَامِيسُ وَعُيُونٌ قَدْ أَنْبَتَ لِعَمَلِهَا .

عَبَّاسٌ : وَمَا هِيَ الْأَجْزَاءُ اللَّازِمَةُ لِلنَّبَاتِ غَيْرَ
الْجُدُورِ ؟

قَالَ عُمَرُ : مِنَ الْأَعْضَاءِ اللَّازِمَةِ لِلنَّبَاتِ السَّاقُ ،

وَهُوَ الْجُزْءُ الْبَارِزُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَهُوَ الَّذِي يَحْمِلُ
الْفُرُوعَ وَالْأَوْرَاقَ ، وَيَسِيلُ فِيهِ غِذَاءُ الشَّجَرَةِ ، وَ يَنْتَقِلُ
إِلَى أَجْزَائِهَا .

وَالْآخِرُ اللَّازِمُ لِلنَّبَاتِ الْأَوْرَاقُ وَهِيَ يَنْتَفِسُ
النَّبَاتُ ، وَ يَأْخُذُ مِنَ الْهَوَاءِ مَا يُصْلِحُ بِهِ حَيَاتِهِ .
وَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ : الْجَذُورُ ، وَالسَّاقُ ، وَالْأَوْرَاقُ ، هِيَ
أَعْضَاءُ النَّبَاتِ اللَّازِمَةُ لِحَيَاتِهِ وَنَمَائِهِ ، وَيَكْفِيكَ يَا عَبَّاسُ !
هَذَا الدَّرْسُ الْأَوَّلُ عَنِ النَّبَاتِ .

قَالَ عَبَّاسُ : عَجَبًا يَا أَبِي ! مَا كُنْتُ أَعْرِفُ مِنْ
قَبْلُ أَنَّ النَّبَاتَ جِسْمٌ حَيٌّ تَامٌ ، لَهُ تَرْكِيبٌ دَقِيقٌ .
قَالَ عُمَرُ : وَكَذَلِكَ كُلُّ شَيْءٍ ، فَإِذَا دَرَسْتَهُ كَكِتَابٍ
تَعَجَّبْتَ مِنْ صَنِيعِ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ، وَعَرَفْتَ
أَنَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ آيَةً لِلَّهِ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

وَاللَّهُ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ
وَفِي كُلِّ تَسْكِينَةٍ شَاهِدٌ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ
تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ

٣٤) الْبُغَاءُ

أَلْفَتْهَا صَيِّحَةً مَلِيحَةً
 نَاطِقَةً بِاللُّغَةِ الْفَصِيحَةِ
 عُدَّتْ مِنَ الْأَطْيَارِ وَاللَّسَانِ
 يُؤْهِمُنِي بِأَنَّهَا إِنْسَانُ
 تَهَيَّ إِلَى صَاحِبِهَا الْأَخْبَارِ
 وَتَكْشِفُ الْأَسْرَارَ وَالْأَسْثَارِ
 بَكْمَاءٍ إِلَّا أَنَّهَا سَمِيعَةٌ
 تُعَيِّدُ مَا تَسْمَعُهُ طَائِعَةٌ
 زَارَتْكَ مِنْ بِلَادِهَا الْبَعِيدَةِ
 وَاسْتَوْطَنْتْ عِنْدَكَ كَالْقَعِيدَةِ
 ضَيْفُ قِرَاهِ الْجَوْزِ وَالْأَرَزِّ
 وَالضَّيْفُ فِي إِيَّانِهِ يُعَزُّ
 تَرَاهُ فِي مَنْقَارِهِ الرَّقِيقِ
 كَلُولُوءٍ يَلْقُطُ بِالْعَقِيقِ

تَنْظُرُ مِنْ طَرَفَيْنِ كَالْفَصَيْنِ
 فِي النُّورِ وَ الظُّلْمَةِ بَصَاصَيْنِ
 خَرِيدَةٌ خُدُورُهَا الْأَقْصَاصُ
 لَيْسَ لَهَا مِنْ حَبْسِهَا خِلَاصُ
 تَحْبِسُهَا وَ مَا لَهَا مِنْ ذَنْبٍ
 وَ إِيْمَا ذَاكَ لِفَرْطِ الْحُبِّ
 (أَبُو إِسْحَاقَ الصَّائِغُ)

③٥ الْحَجَّاجُ وَالْفَتِيَّةُ

أَمَرَ الْجَحَّاجُ صَاحِبَ حَرَسِهِ أَنْ يَطُوفَ لَيْلاً ،
 فَمَنْ رَأَاهُ بَعْدَ الْعِشَاءِ سَكْرَانٌ ضَرَبَ عُنُقَهُ ، فَطَافَ لَيْلَةً مِّنَ
 اللَّيَالِي فَوَجَدَ ثَلَاثَةَ فِتْيَانٍ يَتِمَايَلُونَ ، وَ عَلَيْهِمْ أَمَارَاتُ
 الشُّكْرِ ، فَأَحَاطَتْ بِهِمُ الْعِلْمَانُ وَقَالَ لَهُمُ صَاحِبُ الْحَرَسِ :
 مَنْ أَنْتُمْ حَتَّى خَالَقْتُمْ أَمْرَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَخَرَجْتُمْ
 فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ ؟ فَقَالَ أَحَدُهُمْ .

أَنَا ابْنُ مَنْ دَانَتْ الرِّقَابُ لَهُ
 مِنْ بَيْنِ مَخْزُومِهَا وَ هَاشِمِهَا

تَأْتِيهِ بِالرَّغِيمِ وَهِيَ صَاغِرَةٌ
يَأْخُذُ مِنْ مَّأْلِكَا وَمِنْ دَمِيمَا
فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ : لَعَلَّهُ مِنْ أَقَارِبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .
ثُمَّ قَالَ لِلْآخِرِ : وَأَنْتَ مَنْ تَكُونُ ؟ فَقَالَ :
أَنَا ابْنُ مَنْ لَا تَنْزِلُ الدَّهْرَ قِدْرُهُ
وَإِنْ نَزَلَتْ يَوْمًا فَسَوْفَ تَعُودُ
تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجًا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ
فِيهِمْ قِيَامٌ حَوْلَهَا وَقُعُودُ
فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ : لَعَلَّهُ ابْنُ أَشْرَفِ الْعَرَبِ .
ثُمَّ قَالَ لِلْآخِرِ : وَأَنْتَ مَنْ تَكُونُ ؟ فَأَنْشَدَ قَائِلًا :
أَنَا ابْنُ مَنْ حَاضَ الصُّفُوفَ بِعَزْمِهِ
وَ قَوْمَهَا بِالسَّيْفِ حَتَّى اسْتَقَامَتْ
رِكَابُهُ لَا تَنْفَكُ رِجْلَاهُ مِنْهَا
إِذَا الْخَيْلُ فِي يَوْمِ الْكَرْبَةِ وَلَّتْ
فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَقَالَ : لَعَلَّهُ ابْنُ أَشْجَعِ الْعَرَبِ ،
وَ احْتَفَظَ بِهِمْ .
فَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ رَفَعَ أَمْرَهُمْ إِلَى الْأَمِيرِ ، فَأَحْضَرَهُمْ

وَكَشَفَ عَنْ حَالِهِمْ، فَإِذَا الْأَوَّلُ ابْنُ حَجَّامٍ، وَالثَّانِي ابْنُ
خُضْرِيٍّ، وَالثَّالِثُ ابْنُ حَائِكٍ، فَتَعَجَّبَ مِنْ فَصَاحَتِهِمْ،
وَقَالَ لِحُلَسَائِهِ: عَلِّمُوا أَوْلَادَكُمْ الْأَدَبَ، فَوَاللَّهِ لَوْ لَا فَصَاحَتُهُمْ
لَصُرْتُ أَعْنَاقَهُمْ.

(٣٤) أَنَا تَرَابٌ

أَنَا تَرَابٌ حَقِيرٌ يَطَّأُنِي النَّاسُ بِأَقْدَامِهِمْ وَنِعَالِهِمْ،
وَيَضْرِبُونَ بِي مَثَلًا فِي الْحِقَارَةِ وَالذُّلِّ .
النَّاسُ يَنْتَفِعُونَ بِي فِي كُلِّ سَاعَةٍ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ
وَزَمَانٍ، ثُمَّ يَحْتَقِرُونَنِي وَيَهْجُونَنِي، كَالشَّعِيرِ يُؤْكَلُ وَيَذَمُّ.
فَفِي مَنَازِلِي يَمْشِي النَّاسُ، وَعَلَى ظَهْرِي يَنْتَوْنُ
يَوْمَنَا وَوَمَنَانِي عَظِيمَةً، وَمِنْ بَطْنِي تَخْرُجُ لِلنَّاسِ حُبُوبٌ
يَأْكُلُهَا النَّاسُ، وَجَنَاطٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونُ وَالرَّمَّانُ،
وَالنَّخْلُ وَالزَّرْعُ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ.
وَمِنْ بَطْنِي يَخْرُجُ ذَلِكَ الْقُطْنُ الَّذِي يَدُ لِبَاسِكُمْ
وَكِسْوَتُكُمْ فِي الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ، وَسَرَائِلُ تَقِيكُمْ الْحَرَّ.

وَفِي لِبَاسِ الْحَرِيرِ أَيْضاً يَرْجِعُ إِلَى الْفَضْلِ ،
فَإِنَّ دَوْدَةَ الْقَرْ تَتَغَذَّى مِنْ وَرَقِ التُّوتِ ، وَمِثْلِي تَتَغَذَّى
شَجَرَةُ التُّوتِ ، وَ عَلَى تَنْمُو وَ تَعِيشُ ، وَ عَلَى ظَهْرِي
تَحْفَرُونَ الْبُئْرَ الَّتِي تَشْرَبُونَ مَاءَهَا ، وَ عَلَى ظَهْرِي تَجْرِي
الْأَنْهَارُ الَّتِي تَسْقِيكُمْ ، وَ تَسْقِي زُرُوعَكُمْ .
وَمِنَ الطَّيْنِ يَبْنِي الْفَخَّارِيُّ الْأَوَانِي وَ الظُّرُوفَ ، الَّتِي
تَأْكُلُونَ فِيهَا وَ تَشْرَبُونَ ، وَ اللَّعْبُ وَ الدُّمَى الَّتِي يَلْعَبُ
بِهَا الْأَطْفَالُ .

وَ هَلْ تَصَدِّقُونَ إِذَا أَخْبَرْتُكُمْ بِأَنِّي مَادَّةٌ هَذَا
الْكِتَابِ الَّذِي تَقْرَأُونَهُ ، وَ مَادَّةٌ كُلِّ كِتَابٍ وَ صَحِيفَةٍ ،
فَإِنَّ مَادَّةَ الْوَرَقِ الْحَشِيشُ الَّذِي يَنْبُتُ فِي الْأَرْضِ ، فَمِنْ
مِنِّهِ عَلَى كُلِّ عَالَمٍ وَ طَالِبٍ ، وَلِي مِنْهُ عَلَى كُلِّ مَنْ عَلَيْهِ
مِنُّهُ الْعِلْمُ وَ الدِّينُ .

وَ مِنْ بَطْنِي يَخْرُجُ الذَّهَبُ وَ الْفِضَّةُ ، وَ النِّحَاسُ
وَ الْحَدِيدُ ، الَّذِي فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَ مَنَافِعُ لِلنَّاسِ ،
وَ الرِّيْتُ الَّذِي يُصْنَعُ وَ الْفَحْمُ الْحَجَرِيُّ الَّذِي تَسِيرُ بِهِ
الْقَاطِرَةُ ، وَ الْبُتْرُولُ الَّذِي تَسِيرُ بِهِ السَّيَّارَاتُ وَ الطَّائِرَاتُ

إِنَّكُمْ تُفْسِدُونَ أَطْيَبَ الْأَنْبِيَاءِ ، فَكُلُّ مَا تَكْتَسِرُ
بِكُمْ فَسَدَتْ رَائِحَتُهُ ، وَ ذَهَبَتْ فَضَارَتُهُ ، وَ أَنَا أُعِيدُهُ
غَضَاطِرِيًّا ، وَ هَذَا السَّمَادِ الَّذِي تُلْقَوْنَهُ فِي الْحَقُولِ
وَ الْفَسَائِلِ أَنَبْتُ لَكُمْ حَبًّا صَحِيحًا ، وَ فَاصِكَةً لَذِيذَةً ،
وَ زُهُورًا جَمِيلَةً .

أَنَا أَمِينُ أَجْسَادِ الْأَنْبِيَاءِ ، أَنَا مَرْقَدُ الشُّهَدَاءِ ، أَنَا
مُسْتَوْدَعُ الْأَوْلِيَاءِ ، أَنَا مَضْجَعُ الْعُلَمَاءِ وَالْعُلَمَاءِ ، أَنَا مَدْفَنُ
الْأُمَّهَاتِ وَ الْآبَاءِ ، فَلَا تَمْشُوا عَلَى مَرَحًا ، وَ اذْكُرُوا
قَوْلَ صَاحِبِكُمْ :

خَفِيفِ الْوِطْأِ مَا أَظُنُّ أَدِيمُ
الْأَرْضِ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَادِ
وَ قَبِيحِ بِنَاسٍوَ إِنْ قَدِمَ الْمَهْمُ
دَهَوَانُ الْآبَاءِ وَ الْأَجْدَادِ
سِرٌّ إِنْ اسْتَطَعْتَ فِي الْهَوَاءِ رُؤْيَا
لَا اخْتِيَالًا عَلَى رُفَاتِ الْعِبَادِ



(٣٧) السُّلْطَانُ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكُجْرَاتِيّ

السُّلْطَانُ الْعَادِلُ الْمُجَاهِدُ ، أَبُو الْفَتْحِ سَيْفُ الدِّينِ
مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكُجْرَاتِيّ ، كَانَ مِنْ خِيَارِ السَّلَاطِينِ ،
وُلِدَ بِكُجْرَاتٍ فِي عَاشِرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ٨٤٩ هـ وَقَامَ بِالْمَلِكِ بَعْدَ
دَاوُدَ شَاهِ سَنَةِ ٨٦٢ هـ وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا

اسْتَقَلَّ بِالْمَلِكِ خَمْسًا وَخَمْسِينَ سَنَةً ، وَجَاهَدَ فِي
اللهِ حَقَّ الْجِهَادِ ، وَوَسَّعَ حُدُودَ مَلِكِهِ إِلَى مَالُوهُ ،
وَإِلَى بِلَادِ السُّنْدِ ، وَكَثُرَتْ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ الطَّوِيلَةِ
لَمْ يَطْمَحْ إِلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَسْتَشْرِفْ لَهَا ، وَإِذَا اسْتَوَى
الْقَوِيُّ مِنْهُمْ عَلَى الضَّعِيفِ قَامَ بِنُصْرَةِ الضَّعِيفِ ، وَكَانَ
قَائِمًا بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ، يُنْفِذُ أَمْرَ الشَّرْعِ فِي السِّيَاسَةِ ،
وَيُبْغِضِي حُكْمَ الْقِصَاصِ ، وَلَا يَمْنَعُ كَوْنُ أَحَدٍ مِّنْ
عُظَمَاءِ الْمَلِكِ الْخَاصَّةِ بِهِ أَنْ لَا يَعْمَلَ بِالشَّرِيعَةِ .

وَمِنْ مَكَارِمِهِ قِيَامُهُ بِتَعْمِيرِ الْبِلَادِ وَتَأْيِيسِ الْمَسَاجِدِ ،
وَالْمَدَارِسِ وَالزَّوَايَا ، وَتَكْثِيرِ الزَّرَاعَةِ وَغَرْسِ
الْأَشْجَارِ الْمُثْمِرَةِ ، وَبِنَاءِ الْحَدَاقِقِ وَالْبَسَاتِينِ ، وَتَحْرِيفِ

النَّاسِ عَلَى ذَلِكَ، وَإِعَاتَهُمْ بِمَحْفَرِ الْآبَارِ رِجْرَاءَ الْعِيُونِ،
وَلِذَلِكَ أَقْبَلَ عَلَيْهِ النَّاسُ إِقْبَالًا كَلِيًّا، وَوَقَدَ عَلَيْهِ
الْبَنَاءُونَ وَالمُهَنْدِسُونَ وَ أَهْلُ الْحَرْفِ وَ الصَّنَائِعِ مِنْ
بِلَادِ الْعَجَمِ ، فَقَامُوا بِحَرْفِهِمْ وَ صَنَائِعِهِمْ، فَصَارَتْ
كُجَرَاتُ رِيَاضًا مُخَضَّرَةً بِكَثْرَةِ الْحِيَاضِ وَ الْآبَارِ ،
وَ الْحَدَائِقِ وَ الزُّرُوعِ وَ الْفَوَاكِهِ الطَّيِّبَةِ، وَ صَارَتْ
بِلَادُ كُجَرَاتٍ مَتَجَرَّةً مُجَلَّبٌ مِنْهَا الثِّبَابُ الرَّيْقَةُ إِلَى بِلَادِ
أُخْرَى، وَذَلِكَ كُلُّهُ بِمِيلِ سُلْطَانِهَا مُحَمَّدٍ شَاهٍ إِلَى مَا
يَصْلُحُ بِهِ الْمُلْكُ وَ الدَّوْلَةُ، وَ يَتَرَفَّهُ بِهِ رَعَايَاهُ .

وَ مِنْ مَكَارِمِهِ قِيَامُهُ بِتَرْبِيَةِ الْعُلَمَاءِ وَ الصَّالِحِينَ
لِمَا كَانَ مُجْبُوًّا عَلَى حُبِّ الْعِلْمِ وَ أَهْلِهِ، فَاجْتَمَعَ فِي
حَضْرَتِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ أَفَاضِلِ الْعَرَبِ، حَتَّى صَارَتْ
بِلَادُ كُجَرَاتٍ عَامِرَةً أَهْلَةً بِالْعُلَمَاءِ، وَوَقَدَ عَلَيْهِ الْمُحَدِّثُونَ مِنْ
بِلَادِ الْعَرَبِ، وَأَقْبَلَ النَّاسُ عَلَى الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ،
فَنَشَأَتْ كُجَرَاتُ بِالْيَمَنِ الْمِيْمُونِ، وَفَاقَتْ سَائِرَ بِلَادِ
الْهِنْدِ فِي ذَلِكَ .

وَكَانَ غَايَةً فِي الْعِفَّةِ وَ الْحَيَاءِ، حَسَنَ الْأَخْلَاقِ،

عَظِيمِ الْهِمَّةِ ، كَرِيمِ السَّجِيَّةِ ، شَرِيفِ النَّفْسِ ، كَثِيرِ
الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ ، أَطَالَ الْمُؤَرَّخُونَ فِي مَنَاقِبِهِ وَفَضَائِلِهِ .
فِي سَنَةِ ٩١٦ هـ تَوَجَّهَ إِلَى نَهْرٍ وَآلَهُ بَنَيْنَ ، وَ زَارَ
أُمَّتَهُ الدِّينِيَّةَ بِهَا أَحْيَاءٌ وَ أَمْوَاتًا ، وَ عَقَدَ مَجْلِسًا خَاصًّا
لِلذِّكْرِ الْكَرَّةِ التَّفْسِيرِ وَ الْحَدِيثِ ، وَ أَكْثَرَ مِنَ الْجَوَائِزِ ،
وَ أَعْمَالِ الْبِرِّ وَ الْوُضَائِفِ ، وَ التَّمَسُّ الدُّعَاءِ ، وَ كَانَ
أَنْشَأَ مَضْجَعَهُ فِي جَوَارِ قَبْرِ مَوْلَانَا الشَّيْخِ أَحْمَدَ فِي
سَرَكَهِيْجَ ، يَتَعَهَّدُهُ أَحْيَانًا ، وَ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِأَيَّامٍ فَتَحَ
الْقَبْرَ وَ جَلَسَ عِنْدَهُ وَقَالَ : اَللّٰهُمَّ إِنَّ هَذَا أَوَّلُ مَنَازِلِ
الْآخِرَةِ فَسَهِّلْهُ وَاجْعَلْهُ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، ثُمَّ مَلَأَهُ فَضْنَةً
وَ تَصَدَّقَ بِهَا .

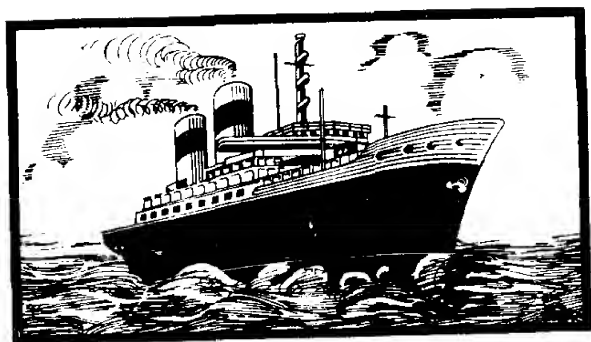
وَكَانَتْ وَفَاتُهُ عَصَرَ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ ثَانِي شَهْرِ رَمَضَانَ
سَنَةِ ٩١٧ هـ وَلَهُ تِسْعٌ وَسِتُّونَ سَنَةً وَ مَدَّةُ سُلْطَانَتِهِ خَمْسُ
وَ خَمْسُونَ سَنَةً .

(نزهة الخواطر للشيخ عبد الحمى الحنفى)



(٣٨) الْبَاخِرَةُ

—(١)—



كَانَ النَّاسُ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ يَسَافِرُونَ مِنْ مَكَانٍ
إِلَى مَكَانٍ عَلَى الْإِبِلِ وَالْغَنَالِ ، وَ عَجَلَاتِ الْخَيْلِ
وَ عَجَلَاتِ الْبُيُوتَانِ ، فَتَرَاهَا غَادِيَةً وَرَاحَةً عَلَى الطَّرِيقَاتِ
وَ الشُّوَارِعِ تَحْمِلُ الرِّكَّابَ وَ الْبَضَائِعَ .

وَكَانَ النَّاسُ يَخَافُونَ السَّفَرَ فِي الْبَحَارِ وَيَتَحَامَوْنَهُ ،
وَلَكِنْ أُلْجَأَتْهُمْ الضَّرُورَةُ إِلَى السَّفَرِ فِيهَا لِأَنَّهُ يَحْمِلُ الْأَثْقَالَ
الْعَظِيمَةَ وَ لَا يَكْلَفُ نَفَقَةً ، فَوَصَلُوا الْأَنْهَارَ وَ الْبَحِيرَاتِ
بِالتَّرُّجِ ، وَ صَارُوا يَسَافِرُونَ فِيهَا عَلَى السُّفُنِ الشَّرَاعِيَةِ ،

وَيَنْقُلُونَ بَضَائِعَهُمُ التِّجَارِيَّةَ مِنْ مَّكَانٍ إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ .
وَكَانَتْ هَذِهِ السَّفِينُ الشَّرَاعِيَّةُ تَسِيرُ ثَلَاثَةَ أُمِّيَالٍ فِي سَاعَةٍ
وَاحِدَةٍ ، وَكَانَتْ هَذِهِ السَّفِينُ تَحْتَ حَكْمِ الرِّيحِ ، فَإِنْ
وَأَفَقَتْ وَصَلَتْ السَّفِينَةُ فِي وَقْتٍ قَرِيبٍ ، وَإِنْ
عَارَضَتْ وَقَفَتْ أَسَابِيعَ وَشُهُورًا ، وَإِنْ عَانَدَتْ
صَدَمَهَا بِصَخْرَةٍ فَكَسَرَتْهَا ، أَوْ قَلَبَتْهَا ، وَهَلَكَ الرُّكَّابُ
وَغَرِقَتِ الْبَضَائِعُ ، وَكَانَ هَذَا يَقَعُ كَثِيرًا حَتَّى ذَهَبَ
مَثَلًا ، وَقَالَ الشَّاعِرُ :

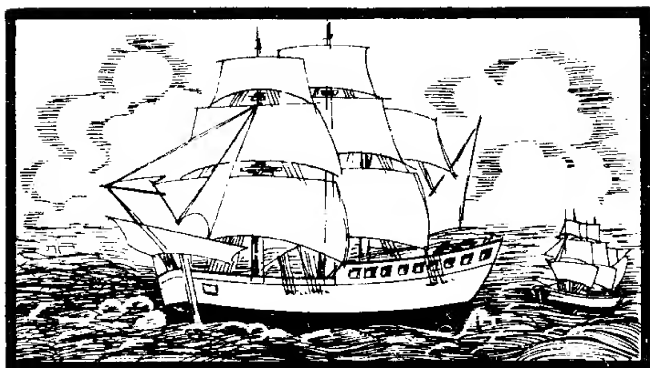
مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْؤُ مُدْرِكَهُ
تَجْرِي الرِّيحُ يَمَّا لَا تَشْبِي السَّفِينُ
وَكَانَ السَّفَرُ خَطِرًا لَا يَدْرِي الْإِنْسَانُ أَيْصِلُ إِلَى
الْمَنْزِلِ أَمْ يَمُوتُ فِي الطَّرِيقِ ، فَكَانَ الْوَاحِدُ إِذَا أَرَادَ
أَنْ يَسَافِرَ فِي سَفِينَةٍ شَرَاعِيَّةٍ أَوْصَى أَقَارِبَهُ وَأَصْدِقَاءَهُ
بِدُبُونِهِ وَبِمَا عَلَيْهِ ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ لَا يَقْدِرُ أَنْ
يَقُولَ : إِنَّهُ يَصِلُ فِي شَهْرِ أَوْ عَامٍ ، فَإِنَّهُ يَسَافِرُ فِي ظُلُمَاتِ
الْبَحْرِ ، وَكَانَ دُودًا عَلَى عُودٍ ، لَا يَدْرِي أَيْمُوتُ فِي
الطَّرِيقِ أَمْ يَصِلُ سَالِمًا وَبَعُودَ .

وَكَانَ النَّاسُ رَغْمَ ذَلِكَ كُلِّهِ يُخَاطِرُونَ بِأَنْفُسِهِمْ
وَأَمْوَالِهِمْ ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُسَافِرُونَ لِلْحَجِّ مِنْ كُلِّ
بِلَادٍ ، وَ لَا يَمْنَعُهُمْ خَطَرٌ أَوْ خَوْفٌ مِّنَ السَّفَرِ إِلَى
بَيْتِ اللَّهِ ، وَأَذَا فَرِيضَةِ الْحَجِّ ، فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ
الْهُندِ ، وَ الصِّينِ ، وَ جَزَائِرِ بَحْرِ الْهِنْدِ ، وَ كَذَلِكَ
مِنْ مَرَاكِبِ وَ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ يُسَافِرُونَ كُلَّ عَامٍ
لِلْحَجِّ ، وَقَدْ يَسْتَفِرِقُ سَفَرُهُمْ عَامًا كَامِلًا أَوْ أَكْثَرَ .
وَ كَانَ الْجَوَابُونَ يَسِيحُونَ فِي الْأَرْضِ ، وَيَرْكَبُونَ
الْبَحْرَ مِنَ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى إِلَى الْمَشْرِقِ الْأَقْصَى ، وَكَانَ
الْعَالَمُ الْإِسْلَامِيُّ كَيْتٍ وَاحِدٍ ، وَالْمُسْلِمُونَ كَأُسْرَةٍ وَاحِدَةٍ ،
يَنَالُ الْجَوَابُ فِي السَّفَرِ كُلِّ مَا يَجِدُهُ فِي الْوَطَنِ .
أَهْلًا بِأَهْلٍ وَ جِيرَانًا بِجِيرَانٍ .

وَقَدْ سَافَرَ ابْنُ بَطُّوطةَ الْمَغْرِبِيُّ ، وَ ابْنُ جُبَيْرِ
الْأَنْدَلُسِيُّ ، وَ سُلَيْمَانُ التَّاجِرُ ، إِلَى مُعْظَمِ الْمَعْمُورَةِ
بِهَذِهِ السُّفُنِ .



٣٩) الْبَاخِرَةُ



مَضَى عَلَى ذَلِكَ قُرُونٌ، ثُمَّ بَدَأَ النَّاسُ يُفَكِّرُونَ ،
وَيَخْتَرِعُونَ حَتَّى تَوَصَّلُوا إِلَى سَفِينَةٍ تَسِيرُ بِالْبَحَارِ ،
وَكَانَ ذَلِكَ بِالتَّدرِجِ ، وَفِي عِدَّةِ قُرُونٍ .
كَانَتِ السُّفُنُ الشَّرَاعِيَّةُ تَسِيرُ بِالْمَجَادِيفِ ، وَتَقَدَّمَ
بَعْضُ الْأَذْكِيَاءِ فَرَكَّبَ فِي سَفِينَةٍ عَجَلَةً رَبطَ بِهَا الْمَجَادِيفَ ،
فَإِذَا دَارَتِ الْعَجَلَةُ بَدَأَتِ الْمَجَادِيفُ تَعْمَلُ وَتَمُخِّرُ الْمَاءَ .
ثُمَّ اهْتَدَى بَعْضُ الْأَذْكِيَاءِ إِلَى إِدَارَةِ الْعَجَلَةِ بِالْبَحَارِ ،
وَإِلِسْتِغْنَاءِ عَنِ الْيَدِ الْعَامِلَةِ ، وَلَمْ تَزَلِ الصَّنَاعَةُ تَرْتَقِي ،

حَتَّى ظَهَرَتْ أَوَّلَ سَفِينَةٍ بُخَّارِيَّةٍ، صَنَعَهَا رَجُلٌ أَمْرِيكِيٌّ
اسْمُهُ «هَلْتَن كِلز مَا وُنْتُ» قَطَعَتْ مِائَةَ مِيلٍ فِي أَرْبَعِ
وَ عَشْرِينَ سَاعَةً.

وَلَمْ تَزَلِ السُّفُنُ الْبُخَّارِيَّةُ تَقْدَمُ فِي السَّرْعَةِ
وَالْقُوَّةِ، حَتَّى أَصَبَحَتْ تَعْبُرُ الْبَحْرَ الْأَطْلَانْتِيكِيَّ بَيْنَ
إِتْكَلْتَرَةَ وَ أَمْرِيكَةَ فِي خَمْسَةِ أَيَّامٍ، وَ كَانَ السَّفَرُ فِي
هَذَا الْبَحْرِ يَأْخُذُ شَهْرَيْنِ.

وَ الْبَاخِرَةُ كَالْفَاطِرَةِ تَسِيرُ بِقُوَّةِ الْبُخَارِ، فَإِنَّهُ يُدِيرُ
الْعَجَلَةَ، وَ الْعَجَلَةُ مُتَّصِلَةٌ بِآلَاتٍ تَحْرُكُ الْبَاخِرَةَ
بِدَوْرَانِهَا وَ تَسِيرُ.

وَ كَذَلِكَ هُنَالِكَ آلَاتُ تَوَجُّهُ الْبَاخِرَةِ مِنْ جِهَةٍ
إِلَى جِهَةٍ، وَ تُسَخَّرُهَا لِلرَّتَانِ يَسِيرُ بِهَا كَيْفَ يَشَاءُ.

وَ قَدْ تَقَدَّمَتِ التَّجَارَةُ تَقَدُّمًا عَظِيمًا، وَ أَصْبَحَ
النَّاسُ يُسَافِرُونَ فِي الْبَحْرِ عَلَى مَتْنِ الْبَاخِرَةِ كَمَا نَهْمُ
بُسَافِرُونَ فِي الْبَرِّ عَلَى الْقِطَارِ، أَوْ مُطْمَئِنُّونَ فِي الْبَلَدِ
وَ جَالِسُونَ فِي الدَّارِ

وَ كَبُرَتْ الْمَرَائِبُ وَ تَوَسَّعَتْ، حَتَّى كَانَتْهَا حَارَةً

مَنْ حَارَاتِ الْبَلَدِ ، أَوْ قَرْيَةٍ صَغِيرَةٍ ، فِيهَا الْمَطْعَمُ
وَالْمَلْعَبُ وَمُنْزَهَاتٌ ، وَتَحْمِيلٌ مِنَ الرُّكَّابِ
مِنْ خَمْسٍ مِائَةٍ إِلَى أَلْفٍ .

وَ إِذَا رَأَى الْإِنْسَانُ السَّفْنَ الشَّرَاعِيَّةَ وَ الْمَرَآكِبَ
الْبُخَارِيَّةَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ رُخَاءً تَعَجَّبَ ، وَرَأَى تَصْدِيقَ
قَوْلِهِ تَعَالَى « وَ سَخَّرْ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ
بِأَمْرِهِ ، وَ سَخَّرْ لَكُمُ الْإِنْهَارَ » .

④٠ جِسْمُ الطَّيُورِ

إِنَّ اللَّهَ وَهَبَ لِكُلِّ حَيَوَانٍ صَغِيرٍ وَ كَبِيرٍ جِسْمًا
لَا يَفُكُّ ، وَأَعْضَاءً يَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِهِ ، وَتَحْصِيلِ
قُوَّتِهِ ، وَسِلَاحًا يُدَافِعُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ ، فَهُوَ الَّذِي أُعْطِيَ
كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى .

أَنْظَرُوا إِلَى الْفِيلِ كَيْفَ مَدَّ اللَّهُ فِي أَنْفِهِ لِيَسْتَخْدِمَهُ
فِي حَوَائِجِهِ ، وَ يَتَاوَلَ بِهِ الطَّعَامَ وَالْمَاءَ ، وَيُوجِّهَهُ حَيْثُ
شَاءَ ، وَفِي طَرَفِهِ زَانِدَةٌ يَلْتَقِطُ بِهَا الْأَشْيَاءَ الدَّقِيقَةَ ، وَقَدْ

قَرَأْتُمْ أَنَّ الْجَمَلَ رَقَبَتُهُ طَوِيلَةٌ ، لِأَنَّهُ كَثِيرُ الْجِسْمِ ، طَوِيلُ
الْأَرْجُلِ ، فَلَوْ كَانَتْ رَقَبَتُهُ قَصِيرَةً لَمْ يُمْكِنَهُ أَنْ يَرْعَى
الْكَلَاءَ مِنَ الْأَرْضِ حَتَّى يَبْزُكَ ، وَ فِي ذَلِكَ تَعَبٌ
عَظِيمٌ ، وَشُغْلٌ كَثِيرٌ ، فَدَدَ اللَّهُ فِي عُنُقِهِ ، وَرَأْسَهُ
صَغِيرٌ ، فَكَانَ خَفِيفَ الْحَمْلِ عَلَى رَقَبَتِهِ ، وَلَمَّا قَدَّرَ اللَّهُ
أَنْ يَكُونِ الْجَمَلُ سَفِينَةَ الصَّحَرَاءِ جَعَلَ أَرْجُلَهَا مُنَاسِبَةً
لِذَلِكَ ، فَلَا تَسُوخُ فِي الرَّمَالِ ، وَ خَلَقَ فِي جَوْفِهِ
كُرُوشًا وَ أَزْقَاقًا يَخْزُونُ فِيهَا الْغِذَاءَ وَ الْمَاءَ ، لِأَنَّ السَّفَرَ
فِي الصَّحَرَاءِ يَحْتَاجُ إِلَى ذَلِكَ كَثِيرًا .

أَنْظَرُوا إِلَى الْقَنْعَرِ وَ الْأَرْنَبِ ، تَرَوَا رِجْلَيْهِمَا
الْخَلْفَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ وَكَبِيرَتَيْنِ ، وَ رِجْلَيْهِمَا الْأَمَامَتَيْنِ
صَغِيرَتَيْنِ وَ قَصِيرَتَيْنِ ، لِيُمْكِنَهُمَا الْجَرْىَ قَفْزًا ، وَ فِي
قَدَمَيْ الرَّجُلَيْنِ الْخَلْفَتَيْنِ لِلْقَنْعَرِ ظِلْفٌ حَادٌّ جِدًّا ، هُوَ
سِلَاحُهُ يَنْقَرِبُهُ بَطْنَ عَدُوِّهِ بِطَعْنَةٍ وَاحِدَةٍ .

كَذَلِكَ الطَّيُورُ ، فَنَظَرُ جِسْمِهَا وَخَلْقُهَا آيَاتُ اللَّهِ ،
فَقَدَّ كَسَا اللَّهُ جِسْمَهَا بِالرِّيشِ ، لِأَنَّهُ أَخَفُّ لِلطَّيْرَانِ ،
وَ جَعَلَ عِظَامَ الطَّائِرِ رَفِيقَةً جَوْفَاءَ ، فَلَا يَعْوِفُهُ ثِقَلُ

رَيْشٍ ، أَوْ جِسْمٍ عَنِ الطَّيْرَانِ .
 ثُمَّ وَهَبَ أَنْوَاعَ الطُّيُورِ أَنْوَاعًا مِّنَ الْمَنَاقِبِ ،
 تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ بَطِيعَةِ الطَّيْرِ وَغِدَائِهِ وَغَادَاتِهِ ، وَكَذَلِكَ
 يَخْتَلِفُ تَرْكِيبُ أَقْدَامِهِ .

أَنْظُرْ إِلَى الْعَصَافِيرِ وَ الْحَمَامِ ، وَالْيَمَامِ وَالْعِزْبَانِ ،
 لَيْسَتْ أَجْسَامُهَا عَالِيَةً ، وَ أَنَّهَا تَلْقُطُ حَبًّا صَغِيرًا مِّنَ
 الْأَرْضِ ، فَلَمْ تَكُنْ فِي حَاجَةٍ إِلَى طُولِ الْأَعْنَاقِ ،
 وَ مَنَاقِيرُهَا مُسْتَقِيمَةٌ وَ قَصِيرَةٌ تُعِينُهَا فِي حَاجَتِهَا .

أَنْظُرْ إِلَى الطُّيُورِ الَّتِي تَعِيشُ فِي الْمَاءِ ، وَ تَبْحَثُ
 عَنْ قُوَّتِهَا فِي الْمَاءِ كَالْبَطِّ وَاللَّقْلُقِ ، تَرَى أَعْنَاقَهَا وَ مَنَاقِيرَهَا
 طَوِيلَةً لِأَنَّهَا تُرْسِلُ مَنَاقِيرَهَا فِي أَعْمَاقِ الْأَنْهَارِ وَ الْبِرَكِ ،
 وَ تَسْتَخْرِجُ قُوَّتَهَا مِنْ أَحْشَائِهَا ، فَخَلَقَ اللَّهُ لَهَا أَعْنَاقًا
 طَوِيلَةً ، وَ مَنَاقِيرَ مُسْتَقِيمَةً وَ طَوِيلَةً كَذَلِكَ .

وَ انْظُرْ إِلَى الطُّيُورِ الَّتِي تَقْنَتُ بِاللَّحْمِ وَ الْفَاكِهَةِ
 وَ تَأْكُلُهَا نَهْشًا ، كَالْجِدَاءِ وَ النُّمُورِ وَ الصَّقُورِ لَا تَجِدُ
 مَنَاقِيرَهَا مُسْتَقِيمَةً ، لِأَنَّهَا لَا تُغْنِي عَنْهَا ، وَلَا تَقْضِي حَاجَتَهَا ،
 فَخَلَقَ اللَّهُ لَهَا مَنَاقِيرَ مُتَقَوِّسَةً حَادَّةَ الطَّرْفِ ، وَ يَكُونُ

طَرَفُهَا الْأَعْلَى مُتَقَدِّمًا مُتَقَوِّسًا، فَيُعِينُهَا فِي نَهْشِ اللَّحْمِ
وَقَرَضِ الْفَوَاكِهِ وَفِي الْعَضِّ عَلَيْهَا .
كَذَلِكَ إِذَا نَظَرْنَا إِلَى أَرْجْلِ الطُّيُورِ وَمَخَالِبِهَا، رَأَيْنَا
بَيْنَهَا فَرْقًا بِحَسَبِ أَنْوَاعِ الطُّيُورِ وَطَبَائِعِهَا، وَعَادَاتِهَا،
وَعِذَائِهَا، فَالطُّيُورُ الَّتِي تَعِيشُ عَلَى الْبَرِّ، وَتَلْتَقِطُ الْحَبَّ
لَيْسَتْ أَرْجُلُهَا طَوِيلَةً، وَأَنَّهُ تَرْفَعُ رِجْلَيْهَا فِي وَقْتِ
وَاحِدٍ، وَتَمْشِي وَثْبًا، وَ أَمَّا الطُّيُورُ الَّتِي تَعِيشُ فِي الْمَاءِ
وَ تَصِيدُ السَّمَكَ وَ هَوَامَّ الْمَاءِ فَإِنَّهَا تُقَدِّمُ رِجْلًا فِي
الْمَشْيِ وَتُوَخِّرُ أُخْرَى كَالْإِنْسَانِ، وَتَمْشِي رُويْدًا، فَإِنَّهَا
إِذَا وَثَبَتْ وَثَبَاتٍ أَوْ قَفَزَتْ أَقْلَتَهَا الصَّيْدَ .

كَذَلِكَ الطُّيُورُ الَّتِي تَسْبَحُ فِي الْمَاءِ، وَ تَصِيدُ
فَلَهَا جِلْدٌ رَقِيقٌ فِي مَخَالِبِهَا يَصِلُ بَيْنَ أَصَابِعِهَا، فَتَنْشُرُ
مَخَالِبَهَا كَالْمِظَلَّاتِ إِذَا نَشَرَتْ، وَتُسَاعِدُهَا فِي السَّباحَةِ
مُسَاعَدَةً غَالِيَةً .

وَ الطُّيُورُ الَّتِي تَقْتَاتُ بِاللَّحْمِ لَهَا أَرْجُلٌ قَوِيَّةٌ
وَ مَخَالِبٌ كَثِيرَةٌ، وَفِي أَصَابِعِهَا أَظْفَارٌ مُتَقَوِّسَةٌ حَادَّةٌ
الْأَطْرَافِ تُسَاعِدُهَا فِي نَهْشِ اللَّحْمِ، وَتَقْوِمُ أَرْجُلَهَا

وَمَخَالِبَهَا مَقَامَ الْأَرْجْلِ وَالْأَيْدِي ، فَإِذَا مَشَتْ كَانَتْ
لَهَا أَرْجُلًا تَمْشِي بِهَا ، وَإِذَا طَارَتْ أَوْ أَرَادَتْ أَنْ تَأْكُلَ
كَانَتْ لَهَا أَيْدِيًا تَبْطِشُ ، وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الطَّيْرِ قَدْ يُمَسِّكُ
عُودًا أَوْ قِطْعَةً لَحْمٍ ، وَيَطِيرُ فِي الْجَوِّ وَيَسْتَقِلُّ بِهِ ، فَلَا
يَسْقُطُ مِنْ يَدِهِ ، وَكَثِيرًا مَا رَأَيْنَا الْبَارِيَّ قَدْ قَبَضَ عَلَى
طَائِرٍ كَثِيرٍ بِمَخَالِبِهِ وَطَارَ بِهِ إِلَى عَشَّةٍ ، وَأَكَلَهُ هُنَاكَ
أَمِنًا مُطْمَئِنًّا .

(٤) شِيرِشَاهُ السُّورِيِّ سُلْطَانُ الْهِنْدِ

—(١)—

كَانَ شِيرِشَاهُ مِنْ خِيَارِ السَّلَاطِينِ ، عَادِلًا بَازِلًا
رَاجِحًا شَجَاعًا مُقْدَامًا ، وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَوْسَاطِ النَّاسِ ،
وَكَانَ شِيرِشَاهُ يَتَعَلَّمُ فِي جَوْنِ بُورَ ، وَ يَقْرَأُ الْكُتُبَ
الدَّرَسِيَّةَ ، وَلَمْ يَزَلْ يَجْتَهِدُ وَيَرْتَقِي حَتَّى نَالَ الْمُلْكَ .
وَ كَانَ وَزَعُ أَوْقَاتِهِ مِنْ يَوْمٍ وَ لَيْلَةٍ ، شَطْرًا مَهَا
لِلْعِبَادَةِ ، وَ شَطْرًا لِلدُّلَى وَ الْقَضَاءِ ، وَ بَعْضَهَا لِإِصْلَاحِ
الْعَسْكَرِ ، فَكَانَ يَتَنَبَّهُ مِنَ النَّوْمِ فِي ثُلُثِ اللَّيْلِ الْآخِرِ ،
وَ يَغْتَسِلُ وَ يَتَهَجَّدُ وَ يَشْتَغِلُ بِالْأَوْرَادِ إِلَى أَرْبَعِ

سَاعَاتٍ ، ثُمَّ يَنْظُرُ فِي حِسَابَاتِ الْإِدَارَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ ، وَيُرْشِدُ
الْأُمَرَاءَ فِي مَا يُهْمُّهُمْ مِنَ الْأُمُورِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ،
وَيَهْدِيهِمْ إِلَى بَرْلِجِ الْعَمَلِ لِئَلَّا يَشَوُّوا أَوْقَاتَهُ بَعْدَ
ذَلِكَ بِالْأَمْسَلَةِ ، ثُمَّ يَقُومُ وَيَتَوَضَّأُ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ وَيُصَلِّيُهَا
بِالْجَمَاعَةِ ، ثُمَّ يَقْرَأُ الْمُسَبَّحَاتِ الْعَشْرَ وَغَيْرَهَا مِنَ الْأُورَادِ ،
ثُمَّ يَحْضُرُ لَدَيْهِ الْأُمَرَاءُ فَيَسْلُونُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ يَقُومُ وَيُصَلِّيُ
صَلَاةَ الْإِشْرَاقِ ، ثُمَّ يَسْأَلُ النَّاسَ عَنْ حَوَائِجِهِمْ وَيُعْطِيهِمْ
مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ ، مِنْ خَيْلٍ ، وَأَقْطَاعٍ ، وَأَمْوَالٍ ، وَغَيْرِ
ذَلِكَ ، لِئَلَّا يَسْأَلُوهُ فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَوْقَاتِ ، ثُمَّ يَتَوَجَّهُ
إِلَى الْمَظْلُومِينَ وَ الْمُسْتَغْنِيَيْنِ ، وَ يَجْتَهِدُ فِي إِغَاثَتِهِمْ .
وَ مِنْ عَوَائِدِهِ بَعْدَ الْإِشْرَاقِ أَنَّهُ أَلْزَمَ نَفْسَهُ أَنْ
يُعْرَضَ عَلَيْهِ الْعَسَاكِرُ فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَ إِلَى أَسْلِحَتِهِمْ ، ثُمَّ
يُعْرَضُ عَلَيْهِ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَنْتَبِثَ فِي الْعَسْكَرِيَّةِ ، فَيَتَكَلَّمُ
مَعَهُ وَ يَخْتَبِرُهُ ، ثُمَّ يَأْمُرُ أَنْ يُنْبِثَ اسْمُهُ فِي الْعَسْكَرِيَّةِ ،
ثُمَّ يُعْرَضُ عَلَيْهِ الْجَبَايَاُ الَّتِي تُورَدُ عَلَيْهِ مِنْ بِلَادِهِ
كُلَّ يَوْمٍ ، ثُمَّ يَتَمَلَّلُ بَيْنَ يَدَيْهِ الْأُمَرَاءُ وَ الْمُزَايِدَةُ ،
وَ سُفَرَاءُ الدُّوَلِ وَ الْوُكَلَاءُ ، فَيَتَحَدَّثُ مَعَهُمْ ، ثُمَّ

تَعَرَّضَ عَلَيْهِ عَرَائِضُ الْأَمْرَاءِ وَالْعُمَّالِ ، فَيَسْمَعُهَا
وَيُجِبُ جَوَابَهَا ، ثُمَّ يَقُومُ وَيُقْبِلُ إِلَى الطَّعَامِ ، وَعَلَى
مَائِدَتِهِ جَمَاعَةٌ مِّنَ الْعُلَمَاءِ وَالْمَشَائِخِ ، ثُمَّ يَشْتَغِلُ نَحْوَ
سَاعَتَيْنِ بِأُمُورٍ خُصُوصِيَّةٍ ، وَيَقْبِلُ إِلَى وَقْتِ الظُّهْرِ ،
ثُمَّ يَقُومُ وَيُصَلِّي بِجَمَاعَةٍ ، وَ يَشْتَغِلُ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ
الْحَكِيمِ ، ثُمَّ بِمُهِّمَاتِ الْأُمُورِ لِلدَّوْلَةِ ، وَ كَانَتْ
لَا يَتْرُكُ شَيْئًا مِّنْ ذَلِكَ فِي ظَنِّ وَلَا إِقَامَةٍ ، وَ كَانَ
يَقُولُ : الرَّجُلُ الْكَبِيرُ مَن يَصْرِفُ أَوْقَاتَهُ فِي الْأُمُورِ
الْمُهِّمَةِ .

وَ كَانَ يَتَوَجَّهُ إِلَى الْمُهِّمَاتِ وَ يَبَاشِرُ الْأُمُورَ
بِنَفْسِهِ ، وَيَقُولُ : لَا يَبْغِي لِصَاحِبِ الْأَمْرِ أَنْ يَسْتَصْغِرَ
مَا يَهْمُهُ مِنَ الْأُمُورِ نَظَرًا إِلَى عُلُوِّ مَرَاتِبِهِ ، فَيُلْقِيهَا عَلَى مَنْ
حَوْلَهُ مِنْ رِّجَالِهِ ، لِأَنَّهُمْ لَا يَجْتَهِدُونَ فِيهَا ، وَ رُبَّمَا
يَتَعَافَلُونَ عَنْهَا طَمَعًا وَ ارْتِشَاءً .

وَ كَانَ يُعَاقِبُ الْبَغَاةَ وَ قُطَّاعَ السَّبِيلِ وَ الظَّالِمَةَ
أَشَدَّ عُقُوبَةٍ ، وَيَعَزِّرُهُمْ أَشَدَّ تَعْزِيرٍ ، وَ كَانَ لَا تَأْخُذُهُ
بِهِمْ رَأْفَةٌ وَ إِنْ كَانُوا مِنْ أَصْهَارِهِ وَ أَقْرَبَائِهِ .

④٢ شِيرُشَاهُ السُّورِيُّ سُلْطَانُ الْهِنْدِ

— ﴿٢﴾ —

وَمِنْ مَّائِرِهِ أَنَّهُ أَسَّسَ شَارِعًا كَبِيرًا مِّنْ سَنَارِ
 كَاوُنْ أَقْصَى بِلَادِ بَنُكَالَهْ ، إِلَى مَاءِ نِيلَابٍ مِّنْ أَرْضِ
 السَّنْدِ ، مَسَافَتُهَا أَلْفٌ وَخَمْسُ مِائَةٍ كُرْوِهْ ، وَ الْكُرْوَهْ
 فِي عُرْفِ أَهْلِ الْهِنْدِ مِيلَانِ ، وَ أَسَّسَ فِي كُلِّ كُرْوِهْ
 رِّبَاطًا ، وَ رَبَّتْ بِهِ طَعَامًا لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ خَاصَّةً
 وَلِلْهِنَادِكِ خَاصَّةً ، وَ أَسَّسَ مَسْجِدًا فِي كُلِّ كُرْوِهْ مِّنْ
 الْأَجَرِّ وَ الْجُصِّ ، وَ وَظَّفَ الْمُؤَدِّنَ ، وَ الْمُقَرِّيَّ
 وَالْإِمَامَ فِي كُلِّ مَسْجِدٍ ، وَ عَيْنَ فِي كُلِّ رِيبَاطٍ فَرَسَيْنِ
 لِلْبُرَيْدِ ، فَكَانَ تُرْفَعُ إِلَيْهِ أَخْبَارُ نِيلَابٍ إِلَى أَقْصَى بِلَادِ
 بَنُكَالَهْ كُلِّ يَوْمٍ ، وَ غَرَسَ الْأَشْجَارَ الْمُشْمِرَةَ بِجَانِبِي
 الشَّارِعِ الْكَبِيرِ ، فَيَسْتَنْظِلُ بِهَا الْمَسَافِرُ وَ يَأْكُلُ مِنْهَا
 وَ كَذَلِكَ غَرَسَ الْأَشْجَارَ الْمُشْمِرَةَ عَلَى الطَّرِيقِ
 مِنْ آكْرَهْ إِلَى مَنَدُوْ ، وَ بَيْنَهُمَا مَسَافَةٌ ثَلَاثُ مِائَةٍ
 كُرْوِهْ ، وَ أَسَّسَ الرِّبَاطَاتِ وَالْمَسَاجِدَ ، وَ بَلَغَ الْأَمْنُ

وَالْأَمَانُ فِي عَهْدِهِ مَبْلَغًا لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ
 فِي الصَّحْرَاءِ إِلَى عَجُوزٍ تَحْمِلُ مَتَاعَهَا ،
 وَكَانَ شَيْزُ شَاهٍ يَتَأَسَّفُ عَلَى أَنَّهُ نَالَ السُّلْطَةَ
 فِي كِبَرِ سِنِّهِ ، وَيَقُولُ : إِنْ سَاعَدَنِي الزَّمَانُ أُنْعَثُ
 رِسَالَةً إِلَى عَظِيمِ الرُّومِ وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَرْكَبَ بِعَسَاكِرِهِ إِلَى
 بِلَادِ الْفُرْسِ ، وَنَحْنُ نَرْكَبُ مِنْ هَاهُنَا إِلَى تِلْكَ الْبِلَادِ ،
 فَتُدْفَعُ بِمُسَاعَدَةِ مَلِكِ الرُّومِ شَرُّ الْأَوْبَاشِ الَّذِينَ يَقْطَعُونَ
 طَرِيقَ الْحُجَّاجِ ، وَتُحْدِثُ شَارِعًا آمِنًا إِلَى مَكَّةَ الْمُبَارَكَةِ ،
 وَالْكَثْرَ الْأَجَلَ لَمْ يُمْهِلْهُ فَآتَ قَبْلَ بُلُوغِهِ إِلَى تِلْكَ
 الْأُمْنِيَّةِ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي ثَلَاثِي عَشَرَ مِنْ رَجَبِ الْأَوَّلِ
 سَنَةِ ٨٩٥٢

(نَزَمَهُ الْخَوَاطِرُ لِلتَّبِيعِ عَبْدَ الْحَيِّ الْحَمِيدِي ع)



شرح الكلمات المستحدثة

| الكلمة | شرح الكلمة |
|------------------|---|
| المسموعة | آلة يسمع بها صوت النفس و حركة القلب |
| البليلة | حالة فيها قبح و سراويلات |
| المرض | مكان يمرض فيه المصنوعات و الطرف و المخترعات |
| المحف | دار الآثار القديمة |
| مليون | عشر مائة ألف |
| المنظرة | آلة يستعملها ضعاف النظر لمساعدة العين و تقوية النظر |
| الوسادة | الثبان الذى يمنح الطالب السابق أو الجندى المستحق |
| المصلحة | إدارة من إدارات الحكومة |
| الرشاش | الرشاش الصغير الذى يصاد به الطيور |
| المدفع | آلة من حديد تدفع القنابل وتستعمل فى الحروب |
| الأسطول | بمجموع سفن حرية |
| القاطرة | العربة البخارية التى تجر القطار |
| القطار السَّابِق | أسرع القُطُر الذى يسمى فى الهند قطار البريد |
| القطار السريع | قطار بين السَّابِق و الوَقَّاف |
| القطار الوقاف | قطار الركاب الذى يقف على كل محطة |
| الموقد | المكان الذى يلقى فيه الفحم و تشعل فيه النار |
| الوقاد | عادم القطار الذى وظيفته مراقبة النار و الماء |
| أمين القطار | مراقب القطار الذى يسافر فى مؤخر القطار و ير البريق |
| المصد | الآلة التى توقف بها السيارة و القطار |
| الباخرة | السفينة البخارية |

فهرست الجزء الثانى من القراءة الراشدة

| الرقم | الموضوع | الصفحة |
|-------|------------------------|--------|
| (١) | ثمارة التيم | ٣ |
| (٢) | كسرة من الخبز | ٤ |
| (٣) | عبادة المريض | ٩ |
| (٤) | الحكيماء | ١١ |
| (٥) | يوم صائف | ١٤ |
| (٦) | النظافة | ١٤ |
| (٧) | الحنين إلى الشهادة (١) | ١٨ |
| (٨) | الحنين إلى الشهادة (٢) | ٢٠ |
| (٩) | كن أحد السبعة (١) | ٢٢ |
| (١٠) | كن أحد السبعة (٢) | ٢٤ |
| (١١) | العين (١) | ٢٧ |
| (١٢) | العين (٢) | ٢٩ |
| (١٣) | أدب المعاشرة | ٣١ |
| (١٤) | عبد الأضفى | ٣٢ |
| (١٥) | تاريخ القمص | ٣٥ |
| (١٦) | الأمس | ٣٧ |

| الرقم | الموضوع | الصفحة |
|-------|------------------------------|--------|
| (١٧) | غرور الدنيا | ٣٩ |
| (١٨) | رسالة إلى رسول الله ﷺ | ٤٠ |
| (١٩) | حادثة | ٤٢ |
| (٢٠) | فتى الاسلام | ٤٤ |
| (٢١) | الرمية | ٤٤ |
| (٢٢) | الجل (١) | ٤٩ |
| (٢٣) | الجل (٢) | ٥٠ |
| (٢٤) | أنا ها قاعرفوف | ٥٢ |
| (٢٥) | سفينة على البر | ٥٥ |
| (٢٦) | الخليفة عمر بن عبدالعزيز (١) | ٥٨ |
| (٢٧) | الخليفة عمر بن عبدالعزيز (٢) | ٦٠ |
| (٢٨) | في بيت أبي أيوب الأنصاري | ٦٢ |
| (٢٩) | الامام مالك بن أنس | ٦٤ |
| (٣٠) | القاطرة (١) | ٦٧ |
| (٣١) | القاطرة (٢) | ٦٩ |
| (٣٢) | جسم النبات (١) | ٧٢ |
| (٣٣) | جسم النبات (٢) | ٧٥ |
| (٣٤) | البخام | ٧٧ |
| (٣٥) | الحجاج و الفتيحة | ٧٨ |

| الرقم | الموضوع | صفحة |
|-------|--------------------------------------|------|
| (٣٦) | أنا تراب | ٨٠ |
| (٣٧) | السلطان محمود بن محمد الكجراتي | ٨٣ |
| (٣٨) | الباخرة (١) | ٨٤ |
| (٣٩) | الباخرة (٢) | ٨٩ |
| (٤٠) | جسم الطيور | ٩١ |
| (٤١) | شير شاه السورى (١) | ٩٥ |
| (٤٢) | شير شاه السورى (٢) | ٩٨ |
| (٤٣) | شرح الكلمات المستعدة | ١٠٠ |
| (٤٤) | فهرست الجزء الثانى من القراءة الراضة | ١٠١ |
| (٤٥) | الموضوعات بحسب الأغراض | ١٠٤ |



الموضوعات بحسب الأغراض

١- دروس من التاريخ الاسلامي ٥- الوصف وما يتصل بالحياة

شهادة البتيم عيادة المريض

الحنين إلى الشهادة (١ و ٢) يوم صائف

رسالة إلى رسول الله ﷺ النظافة

سفينة على البر عبد الأحمى

في بيت أبي أيوب الانصارى حادثة

٢- رجال التاريخ الاسلامي الزمالة

فق الاسلام ٦- ما يتصل بالحيوان والنبات

الخليفة عمر بن عبد العزيز (١ و ٢) الاسد

الامام مالك بن أنس الجمل (١ و ٢)

السلطان محمود بن محمد الكجراتى جسم النبات (١ و ٢)

شير شاه السورى سلطان الهند (١ و ٢) جسم الطيور

٣- دروس الأشياء

كرة من الخبز

العين (١ و ٢) القاطرة (١ و ٢)

تاريخ القميص الباخرة (١ و ٢)

٨ - شعر و ملح أنا هنا فاعرفونى

أنا تراب

٤ - الدروس الدينية و الخلقية

غرور الدنيا

البناء الكبياء

كن أحد السبعة (١ و ٢)

الحجاج و الفتن